الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني

السراج المنير
في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم

1979-1399

بسم الله الرحمن الرحيم

بدىء في السادس عشر رمضان سنة 1398

الحمد لله الذي بعث خاتم أنبيائه وسيد خلقه محمداً ﷺ بالحق بشيراً ونذيراً . واوجب على العالمين إتباع سنته في أصول الدين وفروعه ، ونهاهم عن الابتداع في دينه ، وحذرهم تحذيراً . أحمده على ما أولى من النعم ، وأشكره شكراً كثيراً . وأشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو ، شهادة عبد يرجو رحمته ، ويخاف عذابه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد ، فيقول أفقر العباد إلى رحمة ربه وأحوجُهم إلى زيادة فضله محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني ، غفر الله ذنبه ، وستر في الدارين عيبه . ظهرت في هذا القرن الرابع عشر في بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها دعوة عرف أهلها بالإخلاص لها ، والصبر وتحمل المشاق في نشرها ، والاستماتة وبذل النفس والنفيس في خدمتها ، ألا وهي دعوة قوم يسمون أنفسهم أهل التبليغ . ووضعوا لدعوتهم أركانا ستة مدارها على السياحة فهي الركن الأساسي عندهم فهي بمنزلة الشهادتين عند أهل الاستقامة فمن قبلها واشتغل بها أحبوه وأكرموه وغفروا له ذنوبه وتقصيره ، وضلاله وبدعته . ومن خالفهم فيها لم يقبلوا منه شيئاً وإن كان مؤديا لجميع الواجبات ، قائما بالفرائض والسنن ، متبعاً لأقوم السّنن . فهي خلاصة دينهم عليها يوالون أو يعادون ، ويحبون أو يبغضون ، وقد ترتبت على دعوتهم مفاسد عظيمة

في الدين والدنيا ، فأولها الابتداع في دين الله ، ومخالفة سنة رسول الله ﷺ . وثانيها تضييع العيال والوالدين والأزواج ، وإهدار حقوقهم . ومنها صرف المتعلمين عن تعلم العلوم النافعة في الدين والدنيا ، ومنها تعطيل تجارة التجار ، وتضييع أهلهم ومن يعيش معهم أو يأخذ منهم صدقة أو زكاة . فكم من أولاد فصلوهم عن آبائهم وأمهاتهم ، وكم من بعول فصلوهم عن أزواجهم وأولادهم ، فصار هؤلاء يشتكون إلى الله ثم إلى الناس من هذا الإفساد العظيم والتضليل الكبير فوجب على من كان عنده علم يقلل به شرّ هذه الطائفة أن يبرز علمه ، وأن يظهر للمسلمين ضلالهم وتضليلهم عاملا بقوله تعالى في سورة البقرة الآية المرقومة ب 159 وما بعدها « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ 159 — إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ 160 » وقد ألف القائد محمد أسلم الباكستاني جزءً سماه : « جماعة التبليغ عقائدها وأفكارها ومشايخها » . ذكر فيه ما لهم وما عليهم ، ونقل أخبارهم من كتبهم . وقد رأيت أن ألخص كلامه رجاء أن ينفع الله به من لم يكن وقع في حبائلهم واستهوته حيلهم . ولكني رأيت أن أقدم قبل ذلك مقدمة في الحكم الشرعي بدليله على هذه الفرقة وذكر بعض آثارها السيّئة فأقول : إن الأمم السابقة قبل الإسلام كالبرهمية والبدّية كانوا يتعبدون الله تعالى بالسياحة المجردة . بمعني أن الإنسان يجب عليه أن يفارق أهله وأحبته ويسيح في الأرض ذات الطول والعرض ، متحملا كل ما يصيبه من جوع وعطش . ماشياً على قدميه لا يركب إلا لضرورة ، يفترش الغبراء ، ويلتحف الزرقاء ، ويقلل من الأكل ، ويتعرض للحر والقرّ ولفح الشمس ونزول المطر ، وقد فعل بُدًّا هذه السياحة وهجر زوجه وابنه وكان أبوه غنيا فهام على وجهه خمس سنين إلى أن وصل إلى شجرة في غابة فجلس تحتها وقد ضعف جسمه من شدة الجوع والحر والبرد ، وبلغ الجُهْد منه كل مبلغ ، فلم يؤثر ذلك في عزيمته ، فعند ذلك بلغ مراده ، وفتح له

باب الحكمة بزعمه . وأدرك المعرفة التي كان يبحث عنها ، وهذه المعرفة هي الجهل بالله تعالى ، وبرسله . وإنكار ربوبية الله تعالى وألوهيته . وبعثة الرسل ، ورجع إلى وطنه بَنَارِس . وأخذ يبث في الناس هذه الجهالة ويسميها معرفة ، وسمى أتباعه تلك الشجرة : « شجرة الحكمة » وينبغي أن تسمى : « شجرة الجهل والضلالة » . والآن ننظر ما قاله رسول الله ﷺ في هذه السياحة : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ٱلسَّٰٓئِحُونَ في الآية المرقومة ب 112 من سورة التوبة . وجاء ما يدل على أن السياحة هي الجهاد . وهو ما رواه أبو داوود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله : ائذن لي في السياحة ؟ قال النبي ﷺ : « سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله : ثم قال : وليس من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرّد في شواهق الجبال والكهوف والبراري ، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنما يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن » اهـ.

قال محمد تقي الدين : فلسان حال دعاة التبليغ — تبليغ البدعة والفتنة — يقول : لا يا رسول الله ، ليس الأمر كما قلت ، بل السياحة مشروعة بدون جهاد في سبيل الله ، ولا يصل أحد إلى لُباب الدين إلا بها . ولو أتي بأنواع العبادات كلها فرائضها ونوافلها ولم يسح معنا فدينه ناقص ، وهذا في غاية الضلال . بل من علم أن النبي ﷺ نفى أن تكون السياحة عبادة من عبادات الإسلام وأثبتها فقد حادّ الله ورسوله ، وسيكون في الأذلين . وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الكلمة السابقة الذكر : قال عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة : أخبرني عُمارة بن غزية أن السياحة ذكرت عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « أَبْدَلَنَا الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف » ومعني الحديث أن السياحة التي كانت الأمم السالفة تتعبد

بها ذكرت عند رسول الله ﷺ فقال : قد أبدلنا الله بها خيراً منها . الجهاد في سبيل الله . والتكبير على كل شرف . يعني ان الله لم يشرع لنا التعبد بالسياحة . بل شرع لنا خيراً من ذلك وهو الجهاد في سبيل الله . أي دعوة أُمم الكفر كلها عدا نجد والحجاز إلى الإسلام . فإن أسلموا صاروا إخواننا . لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وإن أَبَوْا دعوناهم إلى الجزية أو المصالحة . فإن أبوا قاتلناهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم . وهو القائل سبحانه : « وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » . أما في الحجاز ونجد وهما المرادان بجزيرة العرب في قول النبي ﷺ : « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا يجوز أن يكون فيها دينان بل من أبا الإسلام قتل . ولا تقبل منهم جِزيَةٌ ولا مصالحة . فكأن التبليغيين إذا وقفوا على الحديث ولم يتوبوا من السياحة يقولون : لا يا رسول الله . ما أبدلنا الله بها خيراً منها . فنحن لا نقبل البدل وهو الجهاد . بل نتمسك بالمبدل منه وهو السياحة . وهذا إذا اعتقده معتقد وهو يعلم الحديثين كان كفراً ظاهراً . وإذا لم يعلم كان جهلا وضلالاً .

فصل

يقال للتبليغيين في الهند : ما أخرجكم من وطنكم الهند وجعلكم تنتشرون في كل أرض وتنادون الخروج في سبيل الله وقد تبين أنه خروج في سبيل الشيطان ؟ وقد تركتم في بلادكم الهندية زهاء خمسمائة مليون لم تقولوا لهم كلمة واحدة لا آمنوا بالله وأسلموا تسلموا من عذاب الله ودعوا عبادة الأصنام . فإنها تُوردكم جهنم . ولم تستعملوا معهم شيئا من حيلكم ودهائكم لتخرجوهم من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام . ولا حاجة بعد ذلك إلى خروجهم من أوطانهم . فلو كنتم صادقين في أنكم تريدون بعملكم وجه الله . لبدأتم بخمسمائة مليون في بلدكم . فقد قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب حين بعثه لقتال أهل خيبر : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » . لكننا رأيناكم توادعونهم وتتوددون إليهم وقد قال الله تعالى في آخر سورة المجادلة : « لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ . أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » يوادون — يتحابون من حاد الله ورسوله — أي حارب الله ورسوله بالكفر وعبادة الأصنام وكثرة أذى المسلمين بالضرب والقتل والإخراج من الديار كما تفعله حكومة الهند وشعب الهند بالمسلمين بخمسين مليونا من الضعفاء الذين لم يهاجروا إلى باكستان . وعشيرتهم : قبيلتهم . وكتب : جعل وأثبت . والتأييد : النصر . فمن والى لله . وعادى لله . وأحب في الله . وأبغض في الله ؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك . قاله الحسن البصري رحمه الله . وينال من فعل ذلك خمس كرامات . الأولى : أن يُثَبِّتَ الله الإيمان في قلبه حتى يلقاه سبحانه . والثانية : أن ينصره على أعدائه . هاتان الكرامتان في الدنيا وفي الآخرة ثلاث كرامات . أن يدخله الجنة . وأن ينال رضوان الله . وأن يكون من حزب الله المفلحين . ومن لم يوالِ في الله . ويعادِ في الله . ويحب في الله . ويبغض في الله . بل والى أعداء الإسلام عبدة الأصنام . وأظهر لهم المحبة . فقد نفى الله عنه الإيمان بالله واليوم الآخر . فإن قالوا : نحن عاجزون عن إظهار العداوة والبغض لأعداء الإسلام . فنحن مضطرون لمصانعتهم . نقول إنكم لم تقتصروا على المداراة . بل أظهرتم لهم الحب وعاهدتموهم على ألاَّ تدعوا أحداً منهم إلى الإسلام ولو بالقول الليِّن . ولا تنكروا عليهم ظلمهم للمسلمين لا في داخل الهند ولا في خارجها وقد أخذتم على ذلكم رشوة عظيمة ألجمتكم وأخرست ألسنتكم وزدتم على ذلكم أنكم وضعتم ركنا من أركان دينكم بنيتموه على شفا جُرُفٍ هَارٍ . سينهار بكم في نار جهنم إن لم تتوبوا إلى الله وترجعوا عن هذه البدعة التي جعلتكم توالون أعداء الله وتعادون أولياء الله فتوبوا إلى بارئكم . وهذه القاعدة الشيطانية هي قولكم : نحن لا نخوض في السياسة . فإذا أنكرنا على كفار الهند عداوتهم للمسلمين . وأنكرنا على

اليهود اغتصابهم للمسجد الأقصى وما حوله ، وأنكرنا على المستعمرين اغتصابهم لأوطان الضعفاء واستعبادهم ، تعطّل ركن السياحة المبتدعة المُضِلّة وهي رأس مالنا ، وأساس دعوتنا ، كما أنها أساس دين البراهمة . وقد أخبرنا المسلمون المعافَوْن من هذه البدعة وهي السياحة . أن حكومة الهند الوثنية لا تسمح إلا لعدد معلوم من المسلمين بالحج في كل سنة ، فمن أراد أن يحج فعليه أن يقدم طلبا لحكام بلده الوثنيين فيقال له : انتظر نوبتك ، فقد لا تأتي نوبته إلا بعد عشر سنين ليؤدي فريضة الحج ، أما التبليغيون فهم أصدقاء الحكومة إذا أراد خمسمائة منهم أن يخرجوا دفعة واحدة لنشر بدعة السياحة بما فيها من الفساد والكوارث يقدمون طلبا للحكومة الوثنية فتمنحهم أجوزة السفر في بضعة أيام ، لأنهم دائما في خدمتها ، لا يفشون لها سرّاً ، ولا يخبرون بشيء من جرائمها ، فضلا عن أن ينكروا عليها . ولذلك لا يذكرون الشيوعيين بسوء ، ولا المستعمرين ، ولا الصهيونيين ، لأن ذلك يمنعهم من دخول بلدانهم . فهذا سر وضع قاعدة تحريم الخوض في السياسة . وجهاد أعداء الإسلام هو أيضا من الخوض في السياسة ، وهؤلاء القوم . هدانا الله وإياهم صراطه المستقيم ، وأبعدنا من طريق أصحاب الجحيم ، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض كفرا سكوتياً فتغيير المنكر عندهم ممنوع . بل يزعمون أنهم يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر . وقد أخبرني أحد رؤسائهم ، أنه أقام يوماً وليلة في قبة تعبد من دون الله ، وصلى في المسجد المتصل بها خمس صلوات ، وهو يعلم ما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . وعن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما وصفتا لرسول الله ﷺ كنيسة بأرض الحبَشة ، وذكرتا من حسنها وما بها من تصاوير فقال النبي ﷺ : (أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح

بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله) . فلعن النبي ﷺ اليهود والنصارى إنما وقع لتحذير أمته أن يعملوا مثل عملهم . ومن صلى عند قبر فقد اتخذ ذلك المكان مسجدا . أي موضع سجود سواء أكان عليه بناءٌ أم لا . فقلت له : كيف تترك خمس صلوات ، ولا تخاف لعن رسول الله ﷺ لمن عمل ذلك العمل ؟. ومن ترك صلاة واحدة حتى خرج جميع وقتها فهو كافر بإجماع الصحابة . أنظر كتابي « حكم تارك الصلاة » الموجود مع كتاب الصراط المستقيم وأدلته فلم يستطع جوابا . ولو أجاب وأفشى السِّر لقال : إني صليت في ذلك الوثن تودُّدا إلى المشركين ليقبلوا دعوتي للخروج إلى السياحة ويعلموا أني مسالم لهم غير منكر عليهم ، فما أشد شُؤم هذه الدعوة النحسة على أهلها ! التي توقعهم في ترك الصلاة ، وهو كفر . والصلاة التي صلوها عند الأوثان باطلة قطعا . لأن القبول لا يجتمع مع لعن فاعليها . وقد يسمون تغيير المنكر خوضا فيما لا يعني ، وفضولا وطيشا ، والله تعالى لم يفرق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه العزيز . فمن منع أحدهما فقد منع الآخر . ومن قال لا حاجة بنا إلى تغيير المنكر . سواء أكان شركا أو بدعة أو معصية ، فقد كذب الكتاب والسنة . قال تعالى في صفة المنافقين في سورة التوبة رقم الآية 67 : « ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ 68 .

وقال تعالى في صفة المؤمنين « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » قال محمد تقي الدين : فلا يسلم من النفاق ويتصف بالإيمان إلا من جمع بينهما .

وبعد هذه المقدمة أشرع في تلخيص الجزء الذي ألفه أخونا في الله

محمد أسلم الباكستاني المتحلّي برتبة ماجور في الجيش الباكستاني وهو طالب في الجامعة الإسلامية قدم هذا الجزء تنويرا للأفكار وكشفاً للأسرار فحصل به على شهادة العالمية التي تسمى بالعجمية ليسانس .

قال بعد المقدمة التي بين فيها أن كل ما أدرجه في هذا الجزء منقول من كتب جماعة التبليغ من تآليف شيوخهم الجشتيين الديوبنديين المنتسبين إلى مذهب أبي حنيفة رحمه الله . قال في الصفحة الخامسة :

مبادىء جماعة التبليغ

الأسس والمبادىء التي دعا إليها الشيخ محمد إلياس الحنفي الديوبندي الجشتي بعد إنشاء جماعة التبليغ هي :

1 — الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله

2 — إقامة الصلوات

3 — العلم والذكر

4 — إكرام كل مسلم

5 — الإخلاص

6 — النفر في سبيل الله . اهـ .

قال محمد تقي الدين : أما الكلمة الطيبة ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإنها لا تنفع إلا من قالها بلسانه ، وعرف معناها ، واعتقده بقلبه ، وعمل بكل ما تقتضيه ، فإن أبا بكر الصديق ومعه أصحاب رسول الله ﷺ كلهم قاتلوا بني حنيفة قتال الكفار وسبوا ذريتهم وغنموا أموالهم وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصومون ، ويصلون ، ويحجون ، لما امتنعوا من أداء الزكاة لخليفة رسول الله ﷺ . لأن أداء الزكاة لخليفة رسول الله ﷺ من مقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ومن مقتضياتها أيضا :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن مقتضياتها أيضا : الحب في الله والبغض في الله ، والموالاة في الله ، والمعاداة في الله . فمن والى أعداء الله المشركين عباد القبور وأصحاب الطرائق المتصوفة الضالة ودعا إلى بدعة السياحة المقتبسة من دين البراهمية ، وأبى أن يصلى صلاة رسول الله واكتفى بصلاة المذهب الحنفي وهي مخالفة لصلاة رسول الله ﷺ يضاف إلى ذلك إن الإفتاء بالتقليد والقضاء بالتقليد من الشرك الأكبر. ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة التوبة : أن عدي بن حاتم رضي الله عنه جاء إلى رسول الله ﷺ فوجده يقرأ سورة التوبة فلما انتهى إلى قوله تعالى في صفة اليهود والنصارى : « ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » . قال عدي : يا رسول الله إنا لم نكن نعبدهم ، قال رسول الله ﷺ أليس كانوا يحلون لكم ما حرَّم الله فتتبعونهم ويحرمون عليكم ما أحلَّ الله فتتبعونهم ؟ قال : بلى ، قال : فتلك عبادتهم . وقد ذكر الحافظ بن القيم رحمه الله في كتابه « أعلام الموقعين عن رب العالمين » مسائل كثيرة خالف فيها الحنفية السنَّة ، ومسائل أخرى خالف فيها غيره من المذاهب السنَّةَ . فمن تمسك بهذه المسائل بعد العلم من أنها مخالفة للسنة فقد اتخذ أبا حنيفة رحمه الله ربّاً من دون الله وقد برأ أبو حنيفة ذمته بقوله : لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه . أي حتى يعرف دليله من الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح . فظهر بهذا أن القاعدة الأولى من قواعدهم وهي الشهادتان ، لا تصح مع تقليدهم للمذهب في العبادات والعقائد وتقليدهم المتصوفة في السلوك .

وأما القاعدة الثانية التي سماها محمد أسلم إقامة الصلوات فقد أخطأ في التعبير فإن جماعة التبليغ تأمر بالصلاة لا بإقامة الصلاة . فالصلاة المخالفة لصلاة رسول الله ﷺ لم تُقَمْ بل هي داخلة في قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، فقد قال النبي ﷺ :

(لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب) وقد نقل المتقدمون للمذاهب: أنه يجوز في مذهب الحنفية أن يقول المصلي بدل فاتحة الكتاب دُوسَبْز وهي ترجمة قوله تعالى: «مُدْهَامَّتَانِ» باللغة الفارسية، فلا تكون الصلاة مقامة مقبولة عند الله تعالى إلا إذا صلاها المصلي مطابقة لصلاة رسول الله ﷺ.

وتسميتهم القاعدة الثالثة بالعلم والذكر مبهمة، لأن العلم منه نافع ومنه غير نافع، وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع، وعلم جماعة التبليغ من العلم الذي لا ينفع، وأما الذكر فما كان منه سالماً من البدع فإن الله يقبله وما كان ممزوجا بالبدع فهو ضلالة. روى ابن وضاح في كتاب البدع بسند صحيح إلى عبد الله بن مسعود أنه سمع أن قوما يجلسون في مسجد الكوفة، فيقول أحدهم: سبحوا مائة فيسبحون، وبين أيديهم الحصى يعدون به التسبيح، ثم يقول هللوا مائة فيهللون، ثم يقول كبروا مائة فيكبرون، فلبس البرنس وهو قلنسوة طويلة تغطي الرأس وتبلغ إلى الذراعين وذهب حتى جلس بينهم ورأى ذلك بعينيه فرفع البرنس عن رأسه حتى عرفوه، فقال: أنا أبو عبد الرحمن يا هؤلاء، والله لقد فقتم أصحاب محمد علماً أوجئتم ببدعة ظلماً. فقال أحدهم: يا أبا عبد الرحمن، نحن ما فقنا أصحاب محمد علماً، ولا جئنا ببدعة ظلما، وإنما نحن قوم نذكر ربنا. فقال ابن مسعود: بلى، والذي نفس ابن مسعود بيده، لقد فقتم أصحاب محمد علماً، أو جئتم ببدعة ظلماً، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هذه أوانيه لم تكسر، وثيابه لم تبل، وقد أحدثتم ما أحدثتم في دينه، وأمر بهم فطردوا من المسجد فخرجوا إلى ظاهر الكوفة فبنوا مسجدا، وأخذوا يفعلون فيه ما كانوا يفعلون في مسجد الكوفة فأمر به عبد الله ابن مسعود فهدم.

قال محمد تقي الدين: هذا المسجد أول زاوية بنيت في الإسلام فإن أصحاب الزوايا لم يكتفوا بالمساجد وبنوا الزوايا ليفعلوا فيها البدع.

والقاعدة الرابعة، وهي قولهم: إكرام كل مسلم صحيحة، لو أنهم يطبقونها، ولكنهم لا يطبقونها إلا مع من يفعل بدعتهم وهي السياحة ومن تنزه عنها من المسلمين يبغضونه أشد البغض.

والقاعدة الخامسة التي سموها الإخلاص: فهي مبهمة، فهذا الإخلاص يجب أن يكون لله ولرسوله ولكتابه وللأئمة المسلمين وعامتهم ولو كان كذلك لكان صحيحا، ولكنهم لا يخلصون الود والنصح إلا لمن آمن ببدعتهم وشاركهم فيها.

والقاعدة السادسة سماها محمد أسلم النفر، وهذه التسمية عجيبة هل هو نفر من عرفة إلى مزدلفة؟ أو هو النفر الذي قال الله تعالى فيه «انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». لا هذا، ولا هذا، ولكنها السياحة البرهمية التي نهانا عنها رسول الله ﷺ. والسياحة لم تكن دينا على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين. وقد خرج النبي ﷺ إلى الطائف وحده ومعه مولاه زيد بن حارثة وتوجه إلى أمير الطائف ودعاه إلى الإسلام، فأجابه جوابا سيئاً، واصطفَّ له السفهاء سماطين ورموه بالحجارة حتى سال الدم من رجليه الشريفتين ولم يأمر أحداً من المسلمين في مكة أن يخرج معه وكان النبي ﷺ يخرج إلى أسواق العرب، كذي المجاز، فلا يأمر أحد أن يخرج معه وكان يتبعه عمه عدو الله أبو لهب فإذا دعا الناس إلى دين الله يقول أبو لهب: إن هذا ابن أخي وهو كذاب فلا تصدقوه. قال مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأني سمعت الله يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا. والسياحة على عهد رسول الله ﷺ لم تكن دينا إلا عند البراهمة وأمثالهم من البدِّيين وغيرهم فلن تكون ديناً أبداً فحسبكم خداعا للناس وتضليلا وارجعوا إلى سنة رسول الله فإن فيها السلامة والنجاة من شر الدنيا والآخرة.

ومن قواعدهم الخارجة عن الستة الأصول التي حصروا فيها دين

الإسلام أُفتيّاتاً على الله ورسوله عدم الخوض في السياسة وهذه قاعدة عظيمة عندهم إذ بها يسقطون عن أنفسهم الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله. وفي شرح الطحاوية قال الحسن البصري رحمه الله: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك وخالفه المتهندون فقالوا: لا تُنال ولاية الله إلا بترك ذلك، فهذه قواعدهم وهي كما ترى أو هي من بيت العنكبوت فهم يتخيرون في دين الله يأخذون ما شاءوا ويدعون ما شاءوا ويزيدون ما شاءوا وينقصون ما شاءوا. يا هاديً الطريق ضللت وأضللت.

دعوا كل قول غير قول محمد فما آمن في دينه كمخاطرِ
فإن أنتم لم تقنعوا بمقاله فإني بما قال النبي لقانع

قال محمد أسلم:

مؤسس جماعة التبليغ

هو الشيخ محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل الحنفي الديوبندي الجشتي الكاندهلوي ثم الدهلوي والكاندهلوي نسبة إلى موطنه كاندهلة من مديرية سهارنپور والدهلوي نسبة إلى دهلي عاصمة الهند. ومقر جماعة التبليغ. والديوبندي نسبة إلى ديوبند وهي أكبر مدرسة للحنفية في البلاد الهندية، ولها شهرة. أسست مدرسة ديوبند في 18 محرم سنة 1288 هـ في قصبة ديوبند، وبناء على قول أصحاب ديوبند أسسها النبي ﷺ، في حضور الشيخ محمد قاسم النانتوي الحنفي الجشتي. وكان النبي ﷺ يأتي إلى هذه الدار أحيانا مع أصحابه وخلفائه لتدقيق حساب المدرسة.(1)

(1) — توحيد خالص للدكتور عثمان ص 104

قال محمد تقي الدين: إقرأوا أيها الناس واعجبوا كيف يؤسس النبي ﷺ مدرسة تحارب سنّته وتنبذ هديه، فهي ماتوريدية في العقائد، حنفية في المذهب. أسست على معصية الرسول والتفرق في الدين لا يرضاها رسول الله ﷺ ولا الخلفاء الراشدون المهديون ولا أبو حنيفة رحمه الله. لأن عقيدة أبي حنيفة التي رواها عنه الثقات بعيدة كل البعد من الماتوريدية والتقليد والتفرق. ولكن إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. وقل ماشئت.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في الدين خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

فالماتريدية يقولون: إن الإيمان اعتقاد في القلب لا يدخل فيه القَول ولا العمل. وأبو حنيفة رحمه الله يقول. كما قال أهل السنة: إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح هذا آخر قوله رواه عنه الطحاوي.

والماتوريدية يقولون: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. فإيمان جبريل وإيمان الأنبياء وإيمان أبي بكر الصديق كإيمان أفسق الناس. وقد رجع أبو حنيفة رحمه الله عن هذا القول. والماتوريدية يقولون: إن الله تعالى ليس فوق العرش بذاته. وأبو حنيفة رحمه الله يكفر من يقول بهذا القول كما في الفقه الأكبر وغيره. ولماذا يحضر النبي ﷺ لتدقيق الحساب هل نزلوا بالنبي ﷺ حتى جعلوه حاسبا لهم نفقات المدرسة وكفى بهذا سوء أدب مع النبي ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله ماذا يبلغ الجهل والتقليد والتعصب بأهله؟

ثم قال محمد أسلم:

وهذا نص ما رأى الشيخ قاسم النانتوي في منامه، فهو يقول: أنا

واقف على سطح الكعبة وجرت الأنهار من عشرة أصابع يدي ورجلي ثم انتشرت في أكناف العالم ورأى الشيخ شاه رفيع الدين « المهاجر إلى المدينة » العميد الثاني لدار العلوم ديوبند في منامه أنه أعطي مفاتيح العلوم الدينية

من بعض أفكار الشيخ قاسم النانتوي
« مؤسس دار العلوم بديوبند »

فهو يقول في كتابه تحذير الناس « ص 5 » إن الأنبياء يمتازون بين أمتهم بعلمهم ، أما الأعمال ففي أكثر الأحيان يساويهم أتباعهم في الظاهر بل يتفوقون عليهم في العمل [2] وفي نظر العامة معني كون الرسول ﷺ خاتما ، ان عهده هو بعد عهد الأنبياء السابقين كونه ﷺ في جميعهم هو النبي الآخر. لكن يعرف أصحاب الفهم والبصيرة أن التقدم والتأخر الزماني ليس فيه فضيلة بالذات فكيف يصح في مقام المدح قوله تعالى « وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ النَّبِيينَ » [3]

والجماعة القاديانية تسلك في معني خاتم النبيين وشرحه الذي نقلناه عن الشيخ قاسم النانتوي [4] قريبا من هذا المسلك .

ولو فرضنا وجود نبي بعد عصر النبي ﷺ فلا يحصل من هذا أي فرق في الخاتمية المحمدية [5]

قال محمد تقي الدين : رؤيا الشيخ قاسم النانتوي لا تدل إلا على سوء الأدب مع الله ورسوله ، ومع بيت الله تعالى ، لأن الصعود على

(2) — بيس بري مسلمان ص 29 ترتيب عبد الرشيد أرشد مكتبة رشيدية لميد 32 شاة عالم ماركيت لاهور باكستان

(3) — رسالة تحذير الناس ص 3 رسالة خاتم النبيين كي بهترين معني ص 4/ قاديان ص 5

(4) — إفادة قاسمية 16

(5) — نفس المرجع ص 28 .

البيت غير مشروع ، ولم يفعله النبي ﷺ . وهذه الأنهار بماذا نفسرها لو لم يكن مقلداً ومبتدعاً وطرقيا ولو كان من أهل الحديث الحفاظ النبلاء الذين يحدثون عن رسول الله ﷺ وينورون القلوب بحديثه لأولنا ذلك بعلم الكتاب والسنّة ولكن لا يمكن ذلك ولا يتفق مع حاله ومقاله فتلك أضغاث أحلام وضلالة وأوهام . وكذلك رؤيا الشيخ رفيع الدين أنه أعطي مفاتيح علوم الدين وهو ديوبندي مقلد وماتوريدي متعصب وقد قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في قصيدته التي يذم بها التقليد والمقلدين ذكرها في جامع بيان العلم وفضله له :

لا فرق بين مقلد وبهيمة
تنقاد بين جنادلٍ ودعاثرِ
تباً لقاضٍ أو لمفتٍ لا يرى
عللا ومعنى للمقال السائرِ
فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة الـ
مبعوث بالدين الحنيف الطاهرِ
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد
ومع الدليل فَمِلْ بفهم حاضرِ
وعلى الأصول فقس فروعك لا تقس
فرعاً بفرعٍ كالجهول الحائرِ

أما زعمه أن أتباع الأنبياء يساوون الأنبياء في العمل بل يفوقونهم فهو من الطوام الكبرى والضلالات العظمى . وفي الصحيح عن أنس قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا بها كأنهم تقالوها وقالوا أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال

الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم ، وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني . فأنت ترى أن هذا الحديث حجة قاطعة على أن النبي ﷺ سيد ولد آدم وأفضل الأنبياء والرسل في العلم والعمل فكيف بغيرهم فمن زعم أنه زاد على عمل النبي ﷺ فهو ضال فاسد الاعتقاد ، لأن ما زاده يبعده من الله وهو في الحقيقة نقصان وخذلان ، فإن أقوال النبي ﷺ وأفعاله وكل حركاته عبادة لا تساويها عبادة فكلام هذا القائل ضلال وهوَس أصيب به . نسأل الله العافية .

شكوى الشيخ النانتوي

شكا الشيخ محمد قاسم النانتوي إلى حاجي إمداد الله مرشده فقال :

كلما وضعت السُّبحة في يدي ابتليت بمصيبة وبلغ الثقل بحيث كأنه وضع علي أحد أو صخرات كان وزن كل صخرة مئات الأطنان ، ووقف اللسان والقلب ، فقال الحاج إمداد الله : إن هذا فيضان النبوة على قلبك ، وهذا هو الثقل الذي يُحسُّه النبي ﷺ وقت الوحي فيستخدمك الله لعمل كان يفعله الأنبياء[1]

قال محمد تقي الدين : هذا الكلام خبيث بلغ في الضلال والكذب والاستخفاف بالأنبياء إلى حدٍّ لا يحتاج إلى تعليق فنعوذ بالله من الخذلان .

مسلك دار العلوم ديوبند

إن دار العلوم تقول إنها إسلامية دينيا ومن أهل السنّة والجماعة فرقة

(1) بيس بري مسلمان ص 33

وحنفية مذهبا وصوفية مشربا وأشعرية عقيدة وجشتية سلوكا .

مذهب جماعة التبليغ وديوبند

نحن نقول : من حيث الجماعة إن التقليد واجب وفرض . وشروط الإجتهاد التي اشترطها السلف نجدها مفقودةً في العلماء اليوم . وكذلك نعتقد أن التصوف الشرعي هو أقرب الطرق لإيجاد التعلق بالله وحلاوة الإيمان والصفات الإيمانية ، فلذلك أي رجل أو أي جماعة تخالفنا في هذين الأمرين فإنها ليستْ من جماعتنا حقا ويقينا .

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في فساد التقليد في كتابه جامع بيان العلم وفضله بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول :

« أغْدُ عالما أو متعلماً ولا تغد إمَّعةَ فيما بين ذلك » ثم قال بسنده عن ابن مسعود : كنا ندعو الإمَّعةَ في الجاهلية الذي يدعى إلى الطعام فيذهب معه بغيره وهو فيكم اليوم المحقب دينه الرجال يعني المقلد . ومضي في ذم التقليد إلى أن قال في صفحة 142 من الجزء الثاني .

وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقلية بعدما تقدم فأحسن ما رأيت من ذلك قول المزني رحمه الله وأنا أورده قال : يقال : لمن حكم بالتقليد : هل لك من حجة فيما حكمت به ؟ فإن قال نعم . أبطل التقليد . لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد ، وإن قال حكمت فيه بغير حجة قيل له فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج وأتلفت الأموال وقد حرم الله ذلك إلا بحجة ؟ قال عز وجل : « هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ؟ » أي من حجة بهذا قال : فإن قال : أنا أعلم أني قد أصبت وإن لم أعرف الحجة لأني قلدت كبيراً من العلماء وهو لا يقول إلا بحجة خفيت عليَّ ، قيل له : إذا جاز لك تقليد معلمك من العلماء وهو لا يقول

إلا بحجة خفيت عليك فقلد معلم معلمك لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت على معلمك كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عليك . فإن قال : نعم . ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى حتى ينتهي الأمر إلى أصحاب رسول الله ﷺ . وإن أبى ذلك نقض قوله وقيل له كيف تجوز تقليد من هو أصغر منك وأقل علما ولا تجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علما ؟ وهذا متناقض فإن قال : لأن معلمي وإن كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه إلى علمه فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك . قيل له : وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمه فيلزمك تقليده وترك تقليد معلمك . وكذلك أنت أولى أن تقلد نفسك من معلمك لأنك جمعت علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمك فإن أعاد قوله جعل الأصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله ﷺ وكذلك الصاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه في قياس قوله والأعلى الأدني أبدا . وكفي بقول يؤول إلى هذا قبحا وفساداً .

قال محمد تقي الدين : وترديد المقلدين كلمة الاجتهاد مغالطة وجهل فإن الاجتهاد إنما يكون في فصل الخصومات إذا لم يوجد نص يجتهد الحاكم ويقضي بين الخصوم برأيه ويقول كما قال عبد الله بن مسعود : إن كان صوابا فمن الله ، وإن كان خطأً فمني . وإذا تبين له بعد ذلك أنه مخطىء في حكمه ينقض ذلك ويحكم بالحق ومسائل الاعتقاد والعبادات لا يدخلها الاجتهاد إلا في ترجيح أحد الأقوال على غيره في الخلافيات إذ لا يعبد الله سبحانه وتعالى بالبدع وإنما يعبد بما شرعه وهو أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته . فمن لم يكن قاضيا ولا مفتيا لا يحتاج إلى الاجتهاد بل يتبع ما أنزل الله على رسوله وهو كافٍ شافٍ وقد قال النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم

من خالفهم حتى يأتي أمر الله) .

فما يقول دعاة التقليد في هذا الحديث الصحيح ؟ وبم يفسرونه ؟ هل الأمة القائمة على الحق تكون جاهلة مقلدة ؟ وكيف تعلم أنها على الحق ؟ وكيف يزعمون أن الأمة الإسلامية كلها جاهلة بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ وليس فيها أحد يعرف الوحي ؟ هذا هو الضلال البعيد .

طعن الشيخ حسين أحمد الحنفي الديوبندي في شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه

قال في كتابه الشهاب الثاقب ص 6 ما معناه :

اعلموا أن محمد بن عبد الوهاب ظهر أمره في أوائل القرن الثالث عشر في نجد وكانت له عقائد فاسدة ، ونظريات باطلة ، فلذلك قتل وقاتل أهل السنة وأجبرهم أن يطعنوا في عقائده ونظرياته وكان يستحل نهب أموالهم ويظن في قتلهم أجرا وثوابا سيما أهل الحجاز فإنه آذاهم أشد الايذاء وكان يسب السلف الصالح ويأتي في شأنهم بغاية سوء الأدب ، وقد استشهد كثير منهم على يديه والحاصل أنه ظالم باغ سفاك فاسق ولذلك أبغضته العرب أكثر من اليهود والنصارى » إلى آخر ما قاله مترجما وملخصا » .

قال محمد تقي الدين : هذا كلام شيطان رجيم جاحد للحق ناصر للباطل ، وقد أكذبه الله وأظهر للناس جميعاً مَخْرقته فبارك في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى إنتصرت وشاعت وذاعت في كل مكان وهي مطابقة لكتاب الله وسنّة رسوله . وزعمه أن دعوة الشيخ كان فيها أذى لأهل الحجاز كذب وزور فإن أهل الحجاز هم الذين منعوا أهل نجد من الحج إثني عشرة سنة إلى أن جاء نصر الله ووقعت

الحرب بين أهل الحق وأهل الباطل فانهزم أهل الباطل في وقت قصير جداً وكانت الدولة لأهل التوحيد وهذا الأمر شاهدته أنا بنفسي فإن كان هدم القباب والقضاء على الأوثان فيه أذى للمشركين فلا زالوا في أذى فإن هدم القبور المبنية وإبطال عبادتها هو الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ.

عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن تدع قبراً مشرفاً إلا سويته . ولا تمثالا إلا طمسته . فإن قتل أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشركين وهدموا أوثانهم فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ . « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ . إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً » . وحسبه خزيا أن يسجل عليه هذا السبُّ الخبيث لأهل العلم والإيمان وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار .

ثم قال محمد أسلم : والحق أن الأستاذ حسين أحمد سكن المدينة سنين عديدة في زمن الملك حسين والأتراك . وقد عرف عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب وبعض شروحه قد طبعت مراراً في الهند . ووزعت مجانا في مكاتب الهند ومدارسها . وقد عمت دراسة عقائد علماء نجد وتصانيفهم وتاريخ ملوكهم قبل ذلك بسنين . وكتاب ملوك العرب لأمين الريحاني . وكتاب « حاضر العالم الإسلامي » الترجمة العربية من الأمير شكيب أرسلان مع حواشيه المفيدة العلمية طبع وعمَّ حتى لم تخل منه مكتبة في الهند ولا باكستان . فاعتذار بعض الناس أن الأستاذ حسين أحمد لم يعرف عقائد أهل نجد ولم يطلع على نظرياتهم عذر لا يعبأ به ولا يعول عليه . بل الأستاذ خاف من أهل البدعة والشرك البريلويين وارتعش أن ينسبه الناس إلى الوهابية فسبَّ الإمام وعلماء نجد ونسب إليهم ما ليس

فيهم . أعاذنا الله من الجبن وسوء المنقلب . ومن العجائب أن الأستاذ حسين أحمد قلما يذكر في كتابه « الشهاب الثاقب » أهل التوحيد والسنة دون أن يطعن فيهم بالوهابية . وقلما يذكرهم إلا ويصفهم بالوهابية الخبيثة[1] وما ذكرهم في هذا الكتاب إلا ونسبهم إلى الخبث وذكر الفرق بين الديوبندية والوهابية . فذكر أنا نتوسل بالأنبياء بل برجال شجرة أهل التصوف كالجشتية والنقشبندية وما سواهما من مشايخ السلاسل . ويقول : والوهابية لا يتوسلون وذكر أن الأنبياء عندنا أحياء حياة حقيقية غير برزخية بل سعيه أنه يمد باعه إلى البرلوية ويلقي عليهم إلقاء يقين أن الديوبندية والبريلوية سواء في تلك المسائل . والوهابية الخبيثة مخالفون لنا في ذلك .

يقول : محمد بن عبد الوهاب النجدي وأتباعه يعتقدون إلى الآن أن حياة الأنبياء كانت في المدة التي قضوها في الدنيا وبعد ذلك هم وأتباعهم سواء في الموت[1] وقد يسمع من العرب مرات أنهم يمنعون من القول بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله منعا باتّاً وينفرون من أهل الحرمين ويستهزئون بهم ويسخرون منهم[2] والوهابية النجدية يعتقدون وينادون على مرأى ومسمع أن القول يا رسول الله عبادة لغير الله هذا شرك[3]

الوهابية الخبيثة ترى أن الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ خير الأنام . وقراءة دلائل الخيرات . وقصيدة البردة والقصيدة الهمزية وجعلها ورداً أمر قبيح ومكروه جداً[4] . والوهابية يضيقون نطاق

(1) .. انظر الشهاب ص 59 سطر 20 وص 20 سطر 14 وص 21 سطر 3

(2) .. الشهاب الثاقب ص 45 .

(3) الشهاب الثاقب ص 65 .

(4) الشهاب الثاقب ص 65

الشفاعة إلى حد يوصلونها إلى منزلة عامة . وهم يعتقدون أن النبي ﷺ ليس له أي نصيب من العلوم الباطنية والأسرار الخفية إلا أحكام الشريعة . والوهابية يعتقدون أن نفس ذكر ولادة النبي ﷺ أمر قبيح وبدعة وقياساً على هذا يرون أنكار الأولياء أمراً قبيحا (1) قال محمد تقي الدين : إن كان حسين أحمد سكن في المدينة سنين عديدة فقد سكن فيها عبد الله بن أبي وأصحابه من قبله .

قال محمد تقي الدين : المبتدعون يتوسلون بالذوات وتوسلهم فاسد . والموحدون يتوسلون إلى الله تعالى بأسمائه الحسني وصفاته العليا . وبمحبتهم واتباعهم لرسوله الكريم ، ونصرهم لشريعته ، وتمسكهم بسنّته ، وهذا هو التوسل الصحيح الذي علمنا إياه رسول الله ﷺ حين حكى لنا قصة أصحاب الغار وتوسل كل واحد من الثلاثة بعمله فالأول توسل إلى الله ببر الوالدين ، والثاني توسل إلى الله بالتعفف عن الزنا ، والثالث توسل إلى الله تعالى بالإحسان إلى الأجير . وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية عبد الله بن عمر وشجرة أهل التصوف لا وجود لها في الكتاب والسنّة ، ولا في سير الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، فهي شجرة الزقوم طعام الأثيم . إلا من وحد الله منهم واتبع الرسول ﷺ ، فعسي أن يغفر له اختراع هذا الإسم المبتدع . وقوله : إن الأنبياء عنده أحياء حياة حقيقية غير برزخية كذب وبهتان ، لم يقله أحد قبله ، لأن الحياة حياتان لا ثالثة لها إلا حياة أهل الجنة فالحياة الدنيوية مضادة للموت والحياة البرزخية تجتمع مع موت الجسد لأنها حياة روحية . أما حياة أهل الجنة فهي أفضل من الحياتين السابقتين لا موت فيها ولا مرض ولا حزن ، وقد زاد هذا الدجال حياة رابعة لا وجود لها إلا في خياله الفاسد . وهو الذي أفتي في الهند بأن

(1) — الشهاب الثاقب ص 67 .

استقلال باكستان غير جائز شرعا ، يعني في شرع الشيطان يريد أن يبقى المسلمون في الهند تحت حكم أعدائهم الوثنيين . هذا هو الشرع عنده ، وكل ذلك فعله تملقاً وخضوعا للوثنيين ، وطعنا في المسلمين . فيقال له :

يا ليت لي من جلد وجهك رُقعة
فأقُدُّ منها حافرا للأدهم

أفيكفر بقوله تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » وقوله تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » ويكذب أبا بكر الصديق في قوله : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » ويقول تعالى : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ » . وبقوله تعالى : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ » أم يكذب الآيات كعادته في خبطه خبط عشواء في ليلة ظلماء . وأما قوله : إن العرب يمنعون من قوله الصلاة عليك يا رسول الله ، فإن الله تعالى لما أنزل قوله تعالى في سورة الأحزاب : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » قال له أصحابه : إن الله أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك ؟ فقال : قولوا : (اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) . وأما السلام فقد عرفتموه يعني في التشهد وهو : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) أي أخصك بالسلام أيها النبي ، فهذا من باب الاختصاص لا من باب النداء ، فهذه الصلاة والسلام المشروعان عند الموحدين . ويلك يا مشرك فإذا لم يكن يا رسول الله عبادة فأين العبادة ؟ فإذا قلت يا الله إرحمني فقد

عبدت الله وإذا قلت يا رسول الله أغثني فقد عبدت الرسول وكفرت بالله . والرسول بريء منك . أما دلائل الجهالات والضلالات الذي سميته دلائل الخيرات ففيه ضلالات كثيرة . منها : قوله في ثلاثة مواضع : اللهم صل على سيدنا محمد عدد معلوماتك وأضعاف ذلك . وقوله : اللهم صل على سيدنا محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء . وقوله : اللهم أرحم سيدنا محمداً حتى لا يبقي من الرحمة شيء . اللهم بارك على سيدنا محمد حتى لا يبقي من البركة شيء . فجعل معلومات الله معلومات محدودة وعدل عن الصلاة التي علمها النبي ﷺ جميع المسلمين واقتصر عليها أصحابه والتابعون لهم بإحسان . وأحدث بدعة وألف كتابا يتلى كما يتلى القرآن ، وابتدع زيادة سيدنا . ولله در الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني إذ يقول في قصيدته التي مطلعها :

سلامي على نجد ومن حل في نجد
وإن كان تسليمي من البعد لا يجدي
قِفا واسألا عن عالم حل سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي طريقة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد سرني ما جاءني من طريقه
وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

ومضي إلى أن قال في مدح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب :

وحرَّق قصداً للدلائل دفتراً
أجاد ففيها ما يزيد على العدِّ
وصيرها الجهال للذكر صورة
يُرى سردها أزكى لديهم من الحمد

وأما البُردة والهَمزية ففيهما من الشرك والضلال ما لا يرتضيه إلا كل مشرك دجال . فمنها قوله :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حُلولِ الحادث العميم

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

فماذا بقي لله تعالى قاتل الله الغلاة المشركين وفي الهمزية قوله :

يا رحيما بالمؤمنين إذا ما
ذَهِلَت عن أبنائها الرحماء
يا شفيعاً في المذنبين إذا أشْـ
ـفَقَ من خوف ذنبه البرآء
جُدْ لعاصٍ وما سواي هو العاصي
ولكن تنكيريٌّ استحياء
وتداركه بالعناية ما دام له
بالذمام منك ذماء

وهذا شرك صريح ، وبهتان قبيح ، لا يستسيغه إلا كل قلب مريض ، مثل قلب حسين أحمد نصير الشرك والوثنية . وقوله : والوهابية يضيقون نطاق الشفاعة إلى آخره . ليس الموحدون هم الذين ضيقوا نطاق الشفاعة ، بل الله تعالى هو الذي ضيقه . وقال : « لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً » وقال : « وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى » أي يأذن للشافع ويرضي عقيدة المشفوع له .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : لَيُرفعن أقوام منكم إليَّ وأنا على الحوض ثم ليختلجُنَّ دوني فأقول : أي ربي أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم بدلوا وغيروا . فأقول : سحقا ، سحقا . وفي رواية : فأقول كما قال العبد الصالح : «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ . وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» وفي رواية فتضربهم الملائكة على وجوههم . فأقول إلى أين ؟ فيقال : إلى النار . فأقول أي ربي : أصحابي ، أصحابي ، وفي رواية أبي داود : أنهم من أمتي . معني هذا الحديث : أن النبي ﷺ يقف على الحوض المورود الذي من شرب منه شَربة لا يظمأ بعدها أبداً . وقد ضمنت له السعادة بتلك الشَّربة وهذا الحوض . كيزانه أي كؤوسه كنجوم السماء في الكثرة ، ماؤه أبيض من اللبن . وأحلى من العسل . فيقبل عليه جماعة من أمته يعرفهم بآثار الوضوء ، لأنهم يأتون غرّاً محجلين ، أعضاء الوضوء عليها نور . فإذا أقبلوا على الحوض ورأوا الناس يشربون وهم في غاية العطش والخوف تضربهم الملائكة على وجوههم وتردُّهم على أعقابهم مطرودين فيقول النبي ﷺ : إلى أين تسوقونهم ؟ فيقال : إلى النار . فيقول النبي ﷺ : يا ربي شفعني فيهم ، فإنهم من أمتي . فيقال له : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . إنهم بدلوا وغيروا في الدين الذي تركتهم عليه . فحينئذ يتبرأ منهم النبي ﷺ ويقول سحقاً لهم ، سحقاً لهم . أي بعداً لهم . ولو كان يعلم أنهم بدلوا وغيروا ما شفع فيهم . فيا أصحاب التبليغ اتقوا الله واذكروا وقوفكم بين يديه . إن هذه السياحة التي فتنتم بها الناس وقطعتم بها الأرحام ، وضيعتم بها العيال من الأولاد والوالدين ، والوالدات ، لو لم

تكن مأخوذة من دين البراهمة لكانت بدعة من أقبح البدع ، وضلالة من شر الضلالات ، فكيف وهي عُمدة دين عبدة الأصنام في الهند ، بل هي كل شيء عندهم ، فجعلتموها أنتم كل شيء في الإسلام . أما تخافون الله الذي إليه تحشرون . إننا نخاف عليكم ، فخافوا على أنفسكم ، فاليوم دُنيا ، وغدا آخرةٌ ، وكأني بكم قد فارقتم الدنيا ، وظهرت لكم الحقائق ، وندمتم على عملكم المبتدع حيث وحين لا ينفع الندم ، فنحن كلنا معرضون للموت في كل لحظة ولا ينفعنا إلا ما قدمنا من عمل صالح موافق لسنّة النبي ﷺ بعيدين عن المبتدعات .

لعمري لقد نبهت من كان نائماً
وأسمعت من كانت له أذنان

فهذا النشاط الذي أعطاكم الله تعالى ، وهذا التعاون يجب أن تصرفوهما في الدعوة إلى سنّة رسول الله ﷺ . فادعوا أنفسكم أولاً وتبرأوا من البدع : من السياحة والمذهب والعقيدة الماتوريدية المعطلة ، وتعاونوا مع أهل الحديث وهم عندكم في الهند وباكستان كثير ، ولهم مساجد ومدارس ، بل جامعات ليس فيها إلا قال الله ، قال رسوله ، قال الصحابة ، وهذا هو العلم ، وما سواه جهل .

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نَصْبُكَ للخلاف سفاهة
بين الرسول وبين قول فقيه
ودعوا التفرق والتحزب والهوى
وعقائداً جاءت من الأوباش

والله يهدينا وإياكم إلى اتباع خير الخلق محمد رسول الله ﷺ

أهل الحديث عصابة الحق   فازوا بدعوة سيِّد الخلق
فوجوههم غرٌّ منضَّرة   لألاؤها كتألق البرق
يا ليتني معهم فيُدركني   ما أدركوه بها من السَّبق

وفي هذا إشارة إلى قول النبي ﷺ :

(نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع) رواه أحمد والترميذي وابن حبان عن ابن مسعود وقال : حسن صحيح . وله روايات تختلف ألفاظها ، ويتحد معناها . ولما زرت الهند لأول مرة في شهر صفر سنة 1342 هـ كان في دهلي مدارس عديدة لأهل الحديث ، أكبرها المدرسة الرحمانية . وكان لهم مساجد عديدة . وتوجد لهم الآن جامعتان : إحداهما في بنارس ، والأخرى في لاهُور ، ومدرستكم ديوبند كبيرة ، ومدارسكم كثيرة أكثر منهم ، ولكن تنقصها سنّة رسول الله فهي مبنية على آراء الرجال وآراء الرجال لا تنفع صاحبها يوم القيامة ، بل يبرأ منها أولئك الرجال . وفي مقدمتهم أبو حنيفة ومحمد بن الحسن وأبو يوسف وزُفر رحمهم الله .

ومن لم يسعه ما أتى عن محمد
فلا وسع الرحمان يوماً على الغُمْرِ

ثم قال حسين أحمد : وهم يعني : الوهابية يعتقدون أن النبي ﷺ ليس له نصيب من العلوم الباطنية والأسرار الحقيقية .

قال محمد تقي الدين : ماذا تريد ياهذا بالعلوم الباطنية والأسرار الحقيقية ؟ أتريد شطحات المتصوفة وكفرهم وأكاذيبهم ؟ كقول الحلاج : ما في الجبَّة إلا الله . وقول الزنديق بن العربي الحاتمي :

الرب عبد والعبد ربٌّ   يا ليت شعري مَن المكلَّفْ

إن قلت عبد فذاك حق   أو قلت رب أنّى يُكلَّفْ

وقول أبي يزيد البسطامي :

« خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله »

وقول علي بن وَفَا :

« أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا »

وقول غيره :

أنا فيه أنت ونحن أنت وأنت هُو
والكل في هو هُو فَسَلْ عمَّن وصل

وقول التيجانيين عن شيخهم في جواهر معانيهم : أنه قال : « إن القطب الفرد الغوث هو الخليفة عن الله في جميع مملكته فلا تتحرك ذرة في العالم إلا بإذنه » فقد جعلوا هذا القُطيب المكذوب لا تأخذه سِنة ولا نوم . لأن الذي يأخذه النوم والتعب والغفلة والمرض لا يستطيع أن يمسك قارورة ماء دون أن تسقط من يده وتتكسر . كما وقع لموسي عليه السلام فيما يُحكى أن الله أمره أن يمسك قارورتين مملوءتين ماء في كل يد قارورة ويحفظها ، فوقف حتى غلبه النوم فسقطت القارورتان . فقد أرى الله تعالى عبده موسي أن العبد ضعيف لا يستطيع أن يمسك السماوات والأرض . والله تعالى هو الذي يقدر على ذلك . والله تعالى لا يحتاج إلى خليفة ، ولا نائب ، لأنه لا يمرض ، ولا يغيب ، ولا يشغله شأن عن شأن . والنبي ﷺ قد أغناه الله تعالى عن هذه الأباطيل . فقال تعالى في سورة النساء رقم الآية 112 « وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا

أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً » وقد نزّه الله نبيه عن خيالات المتصوفة وضلالهم . « فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ »

ثم قال حسين أحمد : ولاه الله ما تولى ، وهم يعتقدون أن نفس ذِكر ولادة النبي ﷺ أمر قبيح وبدعة .

قال محمد تقي الدين : قوله نفس ذكر خطأ في اللغة ارتكبه كثير من المؤلفين العرب الذين هم أفضل منه فلا لوم عليه ، وإنما يقال في الفصيح أن ذكر ولادة النبي ﷺ نفسه على طريقة التوكيد لأن الذكر لا نفس له . ومقصوده أن يعيب على أهل السنة إنكارهم لبدعة المولد المأخوذة من النصارى في أواسط القرن الرابع الهجري أخذها منهم أبو القاسم العزفي من أهل سبتة ، ولم يأخذها من بعيد ، فإن سبتة مجاورة للأندلس ، وأهلها نصارى . فيقال له : هذا المولد المقتبس من النصارى من أحدثه ؟ هل هو سنّة أو بدعة ؟ هل فعله رسول الله ﷺ ؟ أو الصحابة ؟ أو التابعون ؟ أو الأئمة المجتهدون ؟ أو أهل الحديث كالسفيانين وعبد الله بن المبارك ومالك وأحمد والبخاري ومسلم حاشاهم من ذلك ؟

ويناسب هنا إدارج القصيدة الحمزية التي نظمتها في شيخ الموالد الدجال . المشرك المدعو حمزة . إمام مسجد في الدار البيضاء ونصها :

1 — بكى قوم على جاه ومال
وأعول آخرون من الهزال

2 — وبعضهم بكى في إثر خلٍّ
بُعيد الأنس آذن بارتحال

3 — وبعضهم ينوح على شباب
تولى ثم بُدِّل باعتلال

4 — ودين الله أصبح في ضياع
فلا باك عليه ولا مبال

5 — بدهر صار فيه العرف نكرا
ونور الحق غُطِّي بالضلال

6 — وسنّة خير خلقِ الله أضحت
تنادي أين أنتم يا رجالي

7 — طغى وبغى عليها ذو ابتداع
خبيثٌ جاحدٌ للحق غال

8 — متى ما شاهد الغرباء هبوا
لنصرتها توعد بالقتال

9 — وغرّته جموع وافرات
حواليه توالى من يوالي

10 — وساعده عموم الجهل حتى
لقد شمل الأسافِل والأعالي

11 — ألا يا حمزة المغرور مهلاً
لقد عرَّضت نفسك للوبال

12 — أتدعو للنزال ليوث غاب
ولم تك قطُّ من أهل النضال

13 — وتبتدع الموالد قصد أكلٍ
لسُحْتٍ سالكاً سبل الخبال

14 — وتغضب أن يجيء اليوم نور
من السنن المطهّرة العوالي

15 — فَيَمْحِيَ ما خرقت من ابتداع
ويسقيك الأليم من النكال

16 — ومن طلب القتال بلا سلاح
سيهزم ثم يَرْدَى في القتال

17 — وحزب الله يغلب كل حزب
وينصره المهيمن ذو الجلال

18 — فَيُصْلِتْ من كتاب الله بيضا
مهندة تضيء دجى الليالي

19 — ومن سنن الرسول له سهام
ومن حجج الأصول له عوالِ

20 — وأهل الشرك كلهم بُغاث
يتامى في العلوم ذووا اختبال

21 — ومن يعرض عن السنن العوالي
يذق مر الهزيمة في النزال

22 — ويكسى الخزي في دنياه دوما
وبالنيران في أخراهُ صالي

23 — ومالكَ في الموالد من دليل
من القرآن والسنن التوالي

24 — ومَالكَ في الصحابة من إمام
ولا في التابعين ذوي الكمال

25 — وبعدهم الفحول ذووا إجتهاد
حماهم ربهم من ذي الخلال

26 — بدين الشرك تأكل كل يوم
لذلك قد سمنت من الهزال

27 — ومن يأكل بدين الحق يُسْلِكْ
عذابا في الحياة وفي المآل

28 — فكيف الآكلون بدين شرك
وبالبدع المقطعة الحبال

29 — ألا لا أشبع الرحمن بطنا
لأفاك يعيش بالإحتيال

30 — تموت الحرة الشماء جوعاً
وتحفظ ثديها في كل حال

31 — ولا ترضى ببيع الدّر نبلاً
فكيف بعرضها يشرى بمال

32 — وبيع العرض عند الحر شين
وبيع الدين أقرب للوبال

33 — ألا يا حمزةُ أسلم وطهر
فؤادك كي تعيش من الحلال

34 — وتب من كل شرك وابتداع
تنل خيراً وترق للمعالي

35 — فيغنيك الكريم بفيض جود
وتأتيك المواهب بالتوالي

36 — فكم من بائس لما تحلى
بدين الحق أكرم بالنوالِ

37 — حباه الله بعد النحس سعدا
وألبسه جديداً بعد بال

38 — نصحتك إن قبلت اليوم نصحي
وإن تُعرض فإني لا أبالي

39 — واختم بالصلاة على نبي
عظيم في المقال وفي الفعال
40 — صلاة تشمل الأصحاب طرّاً
وقبل الصحب تشمل خير آل
41 — دواما ما بدا في الليل نجم
يضيء وما تلا القرآن تالي

ثم قال حسين أحمد : وقياسا على ذلك يرون أذكار الأولياء أمراً قبيحا .

قال محمد تقي الدين : مقصوده بأذكار الأولياء الأوراد التي يعطيها شيوخ التصوف أتباعهم ويسمونها أورادا . وهي حبال يربطون بها أتباعهم . وقد أخذت أحد هذه الأوراد وهو ورد الطريقة التيجانية وبقيت فيه تسع سنين وفي السنة الأخيرة صرت مقدما وبعد إنقضاء تسع سنين سافرت من وجدة إلى فاس لزيارة قبر الشيخ أحمد التيجاني وأعتكفت عنده ثلاثة أيام وأنشدته ثلاث قصائد طلبت منه فيها خير الدنيا والآخرة . وكان ذلك في أوائل ربيع الأول سنة 1338هـ . وبعد ذلك جمعني الله تعالى بأستاذي شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي أخرجني الله بدعوته من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والسنّة . فإن قلت : وهل أخذ الورد يُسمى شركا ؟ فالجواب : سأحكي لك كيف أخذت الورد وتول أنت الحكم . كان عمري حين أخذت الورد عشرين سنة فتوجهت إلى الشيخ عبد الكريم المنصوري وقلت له أريد أن تعطيني ورد الطريقة التيجانية فذهب بي إلى مكان بعيد من السوق وجلسنا على الأرض وقال لي : أبشر بخير فإن هذا الورد فيه فضائل كثيرة . منها : أن صاحبه إذا داوم عليه إلى الموت

يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب . هو ووالداه وأولاده وأزواجه . لا الحفدة . وهنالك فضائل أخرى ستجدها في كتب الطريقة . فقال لي : إذا جلست لذكر الورد يجب أن تكون على طهارة تامة . طهارة الحدث . وطهارة الخبث ، وأن تجلس كجلوسك للتشهد . مستقبل القبلة . ولا تتكلم في أثناء الذكر . وإن غمضت عينيك فهو أحسن . وتصور أمامك صورة الشيخ أحمد التيجاني . ووجهه . أبيض مُشْربٌ بحمرة . ولحيته بيضاء . وعلى رأسه عمامة . وتصور أن عمودا من النور يخرج من قلبه ويدخل قلبك . وهذا يسمونه الاستمداد . وهذا العمود الذي زعم أنه يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلبي ينور القلب ويشرح الصدر . ويثبت الإيمان وهذا كفر . لأن من اعتقد أن هداية القلوب يقدر عليها ملك . أو نبي . أو صالح . فهو كافر . ومن المعلوم أن أبا طالب عمّ النبي ﷺ كان يحسن إلى النبي ﷺ وكان للنبي ﷺ بمنزلة الأب من حين كان عمر النبي ﷺ عشر سنين إلى أن صار عمره خمسين سنة . وتحمل الشدائد والآلام والجوع والمقاطعة في نصره النبي ﷺ . ومع ذلك حين حضرته الوفاة ذهب إليه النبي ﷺ ووجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية . فدنا منه وقال له يا عمّ : قل : « لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » . فقال له الرجلان المذكوران وهما من شرار كفار مكة : أترغب عن دين عبد المطلب ؟ يعنيان : كيف تترك دين أبيك وأسلافك وتدخل في دين جديد وأنت سيد قريش ؟ فكلما قال له النبي ﷺ ياعم : قل : « لا إله إلا الله » أعادا عليه مقالها . فكان آخر كلامه هو أن قال : هو على دين عبد المطلب . فمات كافرا . فحزن عليه النبي ﷺ لأنه مات كافرا . فأنزل الله تعالى عليه قوله تعالى في سورة القصص : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ » .

وقال النبي ﷺ : (لأستغفرن لك مالم أنه عنك) فاستغفر له حتى أنزل الله تعالى عليه من سورة التوبة : « مَا كَانَ لِلنَّبِيءِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » فترك النبي ﷺ الإستغفار لعمه .

فإذا كان النبي ﷺ لا يستطيع أن يدخل الهداية في قلب عمه الذي هو صِنْوُ أبيه . كيف يستطيع شيخ الطريقة أن ينوِّرَ بذلك العمود المكذوب قلب المريد ؟ فمن زعم أن غير الله تعالى — وإن كان ملكا أو نبيا — يقدر على هداية القلوب فهو كافر . مشرك . ثم يقال لحسين أحمد مطية الإستعمار الهندي : هذه الأذكار التي نسبتها لأوليائك — أولياء الشيطان — هل جاء بها النبي ﷺ وعلمها أمته . وورَّثها إياهم ؟ أم هي وحي أُنزل على أولئك الأولياء لا يعرفه النبي ﷺ ؟ فإن قال : هي مما جاء به النبي ﷺ وورّثها أمته . صار أخذ الإذن فيها بدعة . وإنما يعلم أهل العلم ألفاظها ومعانيها ولا تحتاج إلى إذن . لأن الرسول ﷺ أعطاها أمته . وأذن لها فيها . ومن ضلالات المتصوفة : أنهم يقولون: إن الذكر إذا أخذ بالإذن من الشيخ يكون أجره أعظم . وإذا لم يؤخذ الإذن فيه من الشيخ يكون أجره أقل . فمن ذلك قول التجانيين عن شيخهم بزعمهم : إن « صلاة الفاتح لما أغلق » إذا أخذت بالإذن من الشيخ أو ممن أذن له الشيخ . تعدل « ستة آلاف ختمة من القرآن » وإذا ذكرت بغير إذن . فهي كسائر الصلوات لا فضل لها على غيرها . فإذا أنكر الموحدون أوراد شيوخ التصوف فإنما أنكروا البدع المحدثة فمتى أعطى أبو بكر الصديق ورداً . ومتى أعطى عمر وردا . وكذلك يقال في عثمان . وعلي . وفي سائر الصحابة . وهل كانت في الصحابة طرق؟ طريقة بكرية . وطريقة عُمرية . وطريقة عثمانية . وطريقة علوية . وطريقة جابرية . وطريقة

مسعودية . سبحانك ! هذا بهتان عظيم . فحسين أحمد يعيب الموحدين لمحافظتهم على سنة النبي ومحاربتهم البدع .

وعيرني الواشون أني أحبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فإذا عيرنا بمحبة سنة النبي ﷺ وترك البدع فقد مدحنا من حيث يريد ذمنا وما أحسن قول الشاعر !

يصيب وما يَدْري ويخطي وما درى
وكيف يكون النَّوْك إلا كَذَلِك

ثم قال محمد أسلم ناقلا عن التبليغيين من كتبهم : إن أحدهم يقول :

« ليس فضل الأنبياء بأعمالهم بل يفوقهم بعض أتباعهم في الأعمال[1] » ثم قال حسين أحمد : إن الوهابية يسيؤون الأدب مع النبي . ويقولون ليس له علينا إلا فضيلة قليلة . وليس له علينا حق ولا إحسان ولا يفيدنا شيئا بعد موته ﷺ . وتقول أكابر الوهابية إن عصاي هذه أنفع لنا من النبي ﷺ أذود بها عني الكلاب وأدفعهم بها والنبي ﷺ لا ينفع شيئا[2] .

قال محمد تقي الدين : هذا الكلام الخبيث ناشيء عن جهل وعن اعتقاد خبيث . قال الله تعالى في سورة الأعراف رقم الآية 188 : « قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ . وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ . إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

(1) مجلة دينية بجور يوليو 1958 ص 3 عمود 3 .
(2) الشهاب الثاقب ص 53 .

فالنبي ﷺ قد نفع الله به المؤمنين من أمته فبلغهم الرسالة وهداهم الله به صراطا مستقيما وأخرجهم به من الظلمات إلى النور ونفعتهم دعوته في الدين والدنيا ففي الدين صاروا بدعوته مؤمنين صالحين بعد أن كانوا كافرين طالحين وفي الدنيا أعزهم الله بدعوته وجمع شملهم ونصرهم بعد أن كانوا أذلة مستعبدين. أما هداية القلوب، وشفاء الأمراض. وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشرح الصدور فلا يقدر على ذلك إلا الله وحده لا شريك له، لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته، فهل يريد هذا المشرك أن نستغيث بالنبي ﷺ بعد وفاته؟ ونسأله قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والنصر على الأعداء. فهذا كفر بالله، لأن ذلك من خصائص الله تعالى: «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ. وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ». والنبي ﷺ في غزوة بدر استغاث بالله وبالله استغاث أصحابه وقال تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ» ولم يقل إذ تستغيثون نبيكم ونبيكم يستغيث ربكم كما يعتقد المشركون المتهوكون كحسين أحمد، وإذا كان الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ يُحِبُّونَهُ ويتبعونه ويطيعون الله ورسوله فإنهم يعيشون سعداء. ويموتون سعداء، ولكن من طبع الله على قلبه. وأعمى بصيرته. لا يستريح له بال إلا إذا أشرك بالله، وقد قال الله تعالى في سورة المائدة رقم الآية 72: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» ثم إن هذا كذب وبهتان، إذ لم يقل أحد من الموحدين: إن عصاي هذه أنفع لي من النبي ﷺ وإنما هذا من أكاذيب المشركين.

ثم قال محمد أسلم حاكيا عن معين الدين أحد شيوخ جماعة التبليغ: إنه جاءه مريد يريد أن يدخل في طريقته فقبل رجليه وقال

له: جئت لأكون مريدك فقال له أتفعل ما آمرك به؟ قال نعم، فقال: من المعلوم أن المسلمين يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فإذا أمرتك أن تقول لا إله إلا الله، معين الدين رسول الله، فهل تقول ذلك؟ قال نعم، فقال المُريد بل (المَريد) بفتح الميم لا إله إلا الله. معين الدين رسول الله. فقال له: أنا لست رسول الله، ولكني أمتحنتك لأعرف حبك وإخلاصك لي.

قال محمد تقي الدين: فقبح الله طريقة يتوقف الدخول فيها على الكفر بالله. وقبح الله شيخا يأمر بذلك. ألم يجد ما يمتحن به إخلاصه إلا هذا؟ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين. ولما سمع ذلك الكفر رضي عنه وقال: هكذا ينبغي للمريد أن يكون مع شيخه، يعني إذا أمره بالكفر كفر.

ترجمة الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ

نقلها باختصار من كتاب القائد محمد أسلم.

ولد الشيخ محمد إلياس سنة 1303 هـ. قال: واسمه التاريخي أختر. وكان أبوه الشيخ محمد إسماعيل رجلا صوفيا اشتغل بالعبادة وأعرض عن الدنيا، وكان يشتغل بالذكر، والعبادة، وتعليم القرآن، وكان عنده أكثر من عشرة طلاب يتعلمون القرآن، وكان يسكن في ناحية ميوات بقرب مدينة دهلي، وكانت أمه صفية تحفظ القرآن.

طلبه للعلم: حفظ القرآن ودرس مبادىء العلوم في قريته على أخيه الكبير الشيخ محمد يحيي ورحل إلى ديوبند سنة 1346هـ فجلس في حلقة درس الشيخ محمود الحسن وسمع منه الترمذي والبخاري.

البيعة: في سنة 1315هـ توجه محمد إلياس إلى شيخ الطريقة رشيد

أحمد الكنكوهي فبايعه وأخذ منه الطريقة ثم جدد البيعة بعد وفاة الكنكوهي على يد الشيخ خليل أحمد السهارنبوري ، وصحب الشيخ أشرف علي التهانوي ، وبعد وفاة الشيخ الكنكوهي كان محمد إلياس يفرش حصيراً عند قبر عبد القدوس الكنكوهي ، ودخل الخلوة عند قبر الشيخ نور محمد البدايوني . قال الراوي : فكنا نذهب إليه ونصلي معه هناك بالجماعة[1] .

وَبُجَرها ومصادرها ومواردها وقد انتقدها ونصح المسلمين أن يبعدوا عنها قبل أن يتورطوا فيها ويصعب عليهم الخروج من حبائلها فجزاه الله خيرا .

أفكار محمد إلياس ورأيه في طريقته

قال الشيخ محمد إلياس : كاشفت على هذه الطريقة للتبليغ والتي [illegible] الآية كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

« أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » على الخروج للسياحة المبتدعة . ولكن لم يخطر ببالي قط أن شيخهم محمد إلياس ينزل إلى هذه الدركة حتى يحتج بها على ذلك ، ورحم الله من قال عش رجَبَ ترى عجبًا . والآن نذكر ما قاله الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير في تفسير هذه الآية . ثم نردِفه بما قاله غيره من المفسرين. وهذا كلام ابن كثير باختصار يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم . قال البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه : «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام . وهكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين الأولين . والمعنى أنهم خير الأمم ، وأنفع الناس للناس . وقال الإمام أحمد بسنده إلى دُرَّة بنت أبي لهب : قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال (خير الناس أقراهم وأتقاهم لله وآمَرُهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلُهُم للرحم) والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه وخير قرنهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وغيرهما عن معاوية بن حيدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل . وهو حديث مشهور وقد حسنه الترمذي . وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل لم يعطه نبي قبله ، ولا رسول من الرسل . وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أعطيت ما لم يُعْطَ أحدٌ من الأنبياء ، فقلنا يا رسول الله ماهو؟ قال : (نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض

وسميت أحمد ، وجعل التراب لي طهوراً ، وجعلت أمتي خير الأمم). إسناده أحسن .

ثم ذكر الحافظ ابن كثير أحاديث كثيرة في فضل هذه الأمة لا يتسع المقام لذكرها . وقال النواب حسن الصديق خان ملك بهوبال الهندي رحمه الله في تفسيره المسمى بفتح البيان بعد ما ذكر مثلما ذكر ابن كثير ثم قال في قوله تعالى : « أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » أي أظهرت لهم أي لنفعهم ومصالحهم في جميع الأعصار حتى تميزت وعرفت .

قال محمد تقي الدين : وهذا يرد ما فهمه محمد إلياس من أن لفظ « أُخْرِجَتْ » يدل على الرحلة والتنقل فأخرجت ، معناها أظهرها الله تعالى ، ولم يفهم أحد منها لا من الصحابة ولا من التابعين فمن بعدهم أنها تدل على السياحة وقال السيوطي في الدر المنثور : وأخرج ابن جرير عن السدي قال : قال عمر بن الخطاب في الآية : لو شاء الله لقال : أنتم فكنا كلنا ولكن قال : كنتم في خاصة أصحاب محمد ، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس . وأخرج عبد بن حُميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى : «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » يقول على هذا الشرط : أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر ، وتؤمنوا بالله ، يقول لمن أنتم بين ظهرانيه كقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين . وأخرج ابن جرير عن قتادة ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم قال : أيها الناس ، من سره أن يكون من تلكم الأمة فليؤد شرط الله منها .اهـ

قال محمد تقي الدين : لو فهم الشيخ محمد إلياس هذه الآية حق الفهم لأمر أصحاب « الطريقة الجشتية » أعني أهل طريقته بالتوبة إلى الله من طريقتهم البدعية وأمرهم باتباع الكتاب والسنة ، ولو فهم الآية

يأتون المساجد ويصلون مع الناس فإذا قُضيت الصلاة أخذوا يرغبون الناس في الخروج من المسجد ليذهبوا بهم إلى القفار ، والسياحة المبتدعة المأخوذة من أعداء الإسلام . وهذه جريمة لا تُغتفر ، فقد روى مالك وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط) . فيالله للعجب ممن يخرج المرابط في سبيل الله من بيت الله ، ويذهب به إلى الفلوات لارتكاب البدعة المضلة ، ويدعي أن ذلك في سبيل الله ، فإذا كان ذلك في سبيل الله فأي شيء يكون في سبيل الشيطان ؟ والعجب من منافقي الوعاظ الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم كيف ينصرون هذه البدعة ويركبون في نصرها الصعب والذلول ليبوؤوا بغضب من الله كما باء أهلها ؟

الخطأ الثالث : من تفسير الشيخ محمد إلياس : قوله : والمراد « بأخرجت للناس » العجم ، سوى العرب ، لأنه قيل فيهم : « لست عليهم بمسيطر » . « وما أنت عليهم بوكيل » هذا كلام محمد إلياس ، فاسمعوا أيها القراء ما قاله الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : قال رحمه الله : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » أي يا محمد فذكر الناس بما أرسلت به إليهم ، « فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ، ولهذا قال : « لست عليهم بمسيطر » قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : ولست عليهم بجبار أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم . وقال ابن زيد لست بالذي تكرههم على الإيمان ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها

عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل) ثم قرأ : « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان ، والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية . وبذلك تعرف الخطأ الواضح في قوله : إنها خاصة بالعجم سوى العرب . والخطأ الثاني : في احتجاجه بقوله تعالى : « لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ » فقوله تعالى : « أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » عام في العرب والعجم وكذلك قوله تعالى : « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ » أي ذكر الناس كلهم عربهم وعجمهم ، لست بمسيطر على أحد منهم ، لا على العرب ولا على العجم .

قال محمد تقي الدين : وهذا كان قبل الأمر بالقتال وبعد الأمر بالقتال ، وهو قوله تعالى : « قَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً » سورة التوبة رقم الآية 36 . وقال تعالى في سورة التوبة أيضا رقم الآية 123 « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ، وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ » فتبين بذلك أن قوله تعالى : « لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ » مع كونه غير خاص بالعرب منسوخ بآيات القتال . وأما قوله تعالى : « وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ » فهو في سورة الزمر رقم الآية 41 « إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ، فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ » فقوله تعالى : « إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ » يدل على العموم .

الخطأ الرابع : قول محمد إلياس : والقرينة على هذا : « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم » . ولا علاقة لهذه الآية بما تقدم على أن

النصارى من أهل الكتاب كثير منهم عرب ، غير عجم ، كنصارى نجران ، ونصارى الشام ، وبقية كلامه لا فائدة فيها .

ثم قال محمد أسلم : وقال مرة : « يعني محمد إلياس » إن الشيخ التهانوي « أشرف علي » عمل عملا كبيراً . ثم قال : قال محمد إلياس في خطاب عام أرسله إلى أعضاء جماعته : « إذا لم يرد الله أن يقوم أحد بعمل فلا يمكن حتى الأنبياء أن يبذلوا جهودهم فيقوموا بشيء ، وإذا أراد الله شيئاً يقم أمثالكم الضعفاء بالعمل الذي لم يستطع الأنبياء(1)

قال محمد تقي الدين : وهذا أيضا من تفضيل أصحابه على الأنبياء ، وقد أجمع المسلمون من الصحابة فمن بعدهم على أن الأنبياء أفضل من غيرهم من المؤمنين ، ولا يستطيع أحد أن يساويهم فكيف يكون أفضل منهم ؟ وهذه جرأة عظيمة على الأنبياء نسأل الله العافية . وللمتصوفة طوام كثيرة مثل هذا ، وقد تقدم أنه روي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في شطحاته :

خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله . ومن يضلل الله فما له من هادٍ .

أساتذة محمد إلياس وشيوخه

ومن شيوخه صنوه الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي الحنفي الديوبندي الجشتي والشيخ أحمد رشيد الكنكوهي الحنفي الديوبندي الجشتي النقشبندي ، ومما قاله الشيخ رشيد أحمد : وأقسم بالله أني لست بشيء إلا أن الهداية والنجاة موقوفة على أتباعي في هذا الزمان(2)

(1) ـ مكاتيب إلياس ص 107 — 108 .

(2) ـ بيس بري مسلمان ص 299

قال محمد تقي الدين : لقد حجّرتَ واسعاً ، إن الله تعالى يقول : « وَٱللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » . فكيف حصرت الهداية في أصحابك وجعلت قدرة الله على الهداية محصورة فيهم ؟ فأنت مثل الأعرابي الذي بال في مسجد النبي ﷺ ولما صلى قال : اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا ، فقال له النبي ﷺ لقد حجرت واسعاً ، فرحمة الله واسعة ، وهدايته واسعة ، يهبها من شاء من عباده في كل زمان ومكان . ومنهم الشيخ محمود حسن الديوبندي الحنفي الجشتي هو من كبار علماء ديوبند ومشايخ جماعة التبليغ ، كان أول طالب في مدرسة دار العلوم بديوبند ، وقد شرفه واختاره شيخ العرب والعجم إمداد الله ببيعته وإعطائه الخلافة وإجازة البيعة ، وهذا بناء على طلب الشيخ محمد قاسم النانتوي وأرسل إلى الهند إجازته مكتوبة أيضا .

قال محمد تقي الدين : وهذه البيعة التي يستعملها أصحاب الطرائق من المتصوفة والإجازة في إعطائها كل ذلك ضلال مبين ، فلا توجد في الإسلام بيعة إلا بيعة الصحابة للنبي ﷺ وبيعة المسلمين لخليفتهم .

قال محمد أسلم : كتب الشيخ محمود حسن شيخ محمد إلياس إلى الشيخ فتح الدين « لائلبور » في رسالة يقول : اقرأوا واحدا ومائة مرة « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » بالجهر ، وليكن ضرب يا حي على القلب ، وقل لزوجتك أن تقرأ الإسم الذاتي أي الله أربعة آلاف مرة في كل يوم وليلة في أوقات مختلفة(1) اهـ .

قال محمد تقي الدين : وهاتان بدعتان كلتاهما ضلال . فتحديده

(1) ـ نفس المصدر ص : 300

ذكر يا حي يا قيوم بعدد لم يحدده رسول الله ﷺ بدعة ضلالة . وتحديده لذكرها بالجهر بدعة ضلالة . وأمره أن يجعل يا حي على قلبه بدعة ضلالة . وإقتصاره على ذكر إسم الجلالة مفرداً بدعة ضلالة . فإن الخبر المروي روي هكذا « يا حي يا قيوم بك أستغيث فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين » فتكرار الإسم أو الإسمين بدون دعاء مخالف لسنة النبي ﷺ . وذكر اسم الجلالة « الله » كلمة واحدة دون أن تتألف منها جملة بدعة ضلالة ، وليس بكلام في أي لغة . لأن السُّنة جاءت أن يذكر الله تعالى بكلام له معنى . والكلمة الواحدة لا معنى لها . فالحمد لله ذكر له معنى لأنه مؤلف من مبتدأ وخبر ، ولا إله إلا الله ذكر له معنى كذلك ، والله أكبر ذكر له معنى كذلك ، وسبحان الله ذكر له معنى ، لأنه مؤلف من فعل مقدَّر وفاعله ومفعول مطلق ، وهو سبحان . ومعناه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله ، وسبحان مضافة إلى اسم الجلالة ، وقد جاء القرآن والحديث بذلك ، ولم يجيء ذكر الله الله كلمة واحدة في كتاب الله ولا في سنّة رسوله . وجهال المتصوفة يستعملون ذلك وهو من بدعهم المنكرة .

فضيحة عظيمة لهذا الشيخ

قال محمد أسلم : استدلاله بالآية المحرفة .

كل واحد يعرف الشيخ محمود حسن ديوبندي « يسمونه شيخ الهند » الذي كتب كتاب « إيضاح الأدلة » رداً على عالم سلفي استدل على رد التقليد بآية : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً » فقام الشيخ محمود حسن فرد على العالم المذكور واستشهد بنفس الآية على

ادعائه ، لكن زاد فيها : « وإلى أولي الأمر منكم » زاعما أن هذا من الآية . مع أنه ليس من الآية ، ثم قال : هذا هو السبب لقوله تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ...... » والظاهر أن أولي الأمر في الآية غير الأنبياء فانظر إلى الآية يتضح بها أن الأنبياء وأولي الأمر كلهم يجب اتباعهم » ثم بدأ معترضا » أنك قد عرفت : فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولم تعرِف إلى الآن أن القرآن الذي وجدت فيه هذه الآية توجد فيه الآية المذكورة التي استدللت بها وليس بعجيب أن ترى التعارض بين الآيتين جهد عادتك فنفتي بأن تكون إحداهما ناسخة والأخرى منسوخة « انتهى »

ويثار السؤال على هذا الاستدلال بأن الآية الثانية التي زاد فيها الشيخ محمود حسن الديوبندي واستدل بها في أي جزء من القرآن وفي أي مصحف... ؟ وقد نشر الكتاب باسم الشيخ محمود حسن . والأغلب أنه نشر في قيد حياته ، وقرأه تلامذته من العلماء والمشايخ . ومن الديوبنديين وجماعة التبليغ ، فهل وفق أحد أن يقوم بإصلاح هذه الهفوة « التحريف » .

قد مرت بكم قصة الاحتجاج بالآية القرآنية التي لا تجدها في المصحف الموجود بين أيدينا قد تولاه الشيخ محمود حسن الحنفي الجشتي المعروف بينهم بشيخ الهند وهو أستاذ لمحمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ .

قال محمد تقي الدين : هذا الكلام واضح كامل لا يحتاج إلى شرح ولا تعليق ، فمن بلغ به التعصب والتقليد الأعمى إلى أن يزيد في كتاب الله فقد بلغ في الضلال كل مبلغ ، فنعوذ بالله من الخسران والإفلاس .

ذكر يا حي يا قيوم بعدد لم يحدده رسول الله ﷺ بدعة ضلالة . وتحديده لذكرها بالجهر بدعة ضلالة ، وأمره أن يجعل يا حي على قلبه بدعة ضلالة ، واقتصاره على ذكر إسم الجلالة مفرداً بدعة ضلالة ، فإن الخبر المروي روي هكذا « يا حي يا قيوم بك أستغيث فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين » فتكرار الإسم أو الإسمين بدون دعاء مخالف لسنة النبي ﷺ . وذكر اسم الجلالة « الله » كلمة واحدة دون أن تتألف منها جملة بدعة ضلالة ، وليس بكلام في أي لغة . لأن السُّنة جاءت أن يذكر الله تعالى بكلام له معنى ، والكلمة الواحدة لا معنى لها . فالحمد لله ذكر له معنى لأنه مؤلف من مبتدأ وخبر ، ولا إله إلا الله ذكر له معنى كذلك ، والله أكبر ذكر له معنى كذلك . وسبحان الله ذكر له معنى ، لأنه مؤلف من فعل مقدَّر وفاعله ومفعول مطلق ، وهو سبحان . ومعناه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله ، وسبحان مضافة إلى اسم الجلالة . وقد جاء القرآن والحديث بذلك ، ولم يجيء ذكر الله الله كلمة واحدة في كتاب الله ولا في سنّة رسوله . وجهال المتصوفة يستعملون ذلك وهو من بدعهم المنكرة .

فضيحة عظيمة لهذا الشيخ

قال محمد أسلم : استدلاله بالآية المحرفة .

كل واحد يعرف الشيخ محمود حسن ديوبندي « يسمونه شيخ الهند » الذي كتب كتاب « إيضاح الأدلة » ردّاً على عالم سلفي استدل على رد التقليد بآية : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً » فقام الشيخ محمود حسن فرد على العالم المذكور واستشهد بنفس الآية على

ادعائه ، لكن زاد فيها : « وإلى أولي الأمر منكم » زاعما أن هذا من الآية . مع أنه ليس من الآية ، ثم قال : هذا هو السبب لقوله تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...... » والظاهر أن أولي الأمر في الآية غير الأنبياء فانظر إلى الآية يتضح بها أن الأنبياء وأولي الأمر كلهم يجب اتباعهم » ثم بدأ معترضا » أنك قد عرفت : فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولم تعرِف إلى الآن أن القرآن الذي وجدت فيه هذه الآية توجد فيه الآية المذكورة التي استدللت بها وليس بعجيب أن ترى التعارض بين الآيتين جهد عادتك فنفتي بأن تكون إحداهما ناسخة والأخرى منسوخة « انتهى »

ويثار السؤال على هذا الاستدلال بأن الآية الثانية التي زاد فيها الشيخ محمود حسن الديوبندي واستدل بها في أي جزء من القرآن وفي أي مصحف... ؟ وقد نشر الكتاب باسم الشيخ محمود حسن ، والأغلب أنه نشر في قيد حياته ، وقرأه تلامذته من العلماء والمشايخ ، ومن الديوبنديين وجماعة التبليغ ، فهل وفق أحد أن يقوم بإصلاح هذه الهفوة « التحريف » .

قد مرت بكم قصة الاحتجاج بالآية القرآنية التي لا تجدها في المصحف الموجود بين أيدينا قد تولاه الشيخ محمود حسن الحنفي الجشتي المعروف بينهم بشيخ الهند وهو أستاذ لمحمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ .

قال محمد تقي الدين : هذا الكلام واضح كامل لا يحتاج إلى شرح ولا تعليق ، فمن بلغ به التعصب والتقليد الأعمى إلى أن يزيد في كتاب الله فقد بلغ في الضلال كل مبلغ ، فنعوذ بالله من الخسران والإفلاس .

في عقائد الهنادكة(١) القائلين بالتناسخ .

قال محمد تقي الدين : أجمع المسلمون فيما علمت على أن أرواح الأنبياء والصالحين لا ترجع إلى أجسادها إلا يوم البعث والنشور ومنها أشرف الأرواح روح نبينا محمد ﷺ لا ترجع إلى جسده الشريف إلا يوم البعث فهو أول من تنشق عنه الأرض ، ويدخل الجنة . وفي الموطأ عن عائشة أم المؤمنين عن النبي ﷺ أنه قال : (إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترتع في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش أو كما قال). فروح محمد قاسم النانتوي إن كانت في الجنة في حوصلة طائر أخضر ، ترتع في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى عرش الله تعالى . كيف تترك ذلك النعيم والقرب من الله تعالى تحت عرشه المجيد وترجع إلى الدنيا الملعونة ؟ لأي غرض ؟؟ لهداية محمود حسن ، والقرآن عنده . وقد قال تعالى في سورة الإسراء رقم الآية 9 « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً 10 » وقال تعالى في سورة الشورى رقم الآية 52 : « وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي). ففي الكتاب والسنة هداية كافية لمحمود الحسن ، فلا حاجة إلى أن ترجع روح محمد قاسم إلى جسده ويخرج من قبره ويمشي إلى ديوبند لهداية محمود الحسن . ولما توفي رسول الله ﷺ اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فيمن يتولى الخلافة وطال نزاعهم حتى شغلهم عن

(١) — أرواح ثلاثة ص 232 — ص 243 .

دفن جسد النبي ﷺ ثلاثة أيام ، ولو تكلم لهم النبي ﷺ لا انقطع النزاع واتفقوا في الحين ، ولكنه لم يتكلم لهم ، وهذا أهم من الأمر الذي بعث له قبل يوم البعث محمد قاسم — وهو أمر (محمود حسن) — فإن ترك « محمود حسن » للنزاع ، نتيجته هداية نفس واحدة ، واتفاق الصحابة على الخليفة نتيجته هداية الأمة بأسرها . والنبي ﷺ مكلف بهداية الأمة في حال حياته ، وقد ترك لهم ما يقوم بهدايتهم بعد وفاته وهو كتاب الله وسنته ، فكيف لم يكتف محمد قاسم النانتوي بما اكتفى به النبي ﷺ ؟ وحدث بعد ذلك وقوع النزاع بين فاطمة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما فإن فاطمة طلبت حقها من ميراث أبيها عليه وعليها الصلاة والسلام طلبته من أبي بكر الصديق وهو أحب الناس إلى النبي ﷺ من الرجال ، وابنته عائشة أحب الناس إلى النبي ﷺ من النساء ، وفاطمة ابنته بضعة منه ، أي قطعة من لحمه ، يسوؤه ما ساءها فلا يهون على النبي ﷺ هذا الاختلاف بين حبيبين من أحبته وقد قال أبو بكر الصديق لفاطمة في الجواب : إن النبي ﷺ قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة . وشهد بذلك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ . فقالت فاطمة لأبي بكر الصديق إذا متَّ أنت من يرثك قال أولادي قالت فما بالي أنا لا أرث أبي ؟ فأجابها بما تقدم فلو رجعت روح النبي ﷺ إلى جسده وقال لفاطمة : يا ابنتي إنَّ ما قال لك أبو بكر هو الحق ، ولا حاجة بك إلى المال ، لأنك لا تعيشين بعدي إلا ستة أشهر ، لانفضَّ النزاع ، وصفا الجو ، ورجع الحبيبان — فاطمة وأبو بكر — إلى صفاء المودة والوفاق . فكيف يترك النبي ﷺ هذه المصلحة العظيمة ولا يبعث لها ؟ ويبعث محمد قاسم النانتوي لشيء تافه نسبياً ، وهو ترك النزاع وتركه منطوق به في كتاب الله . قال تعالى في سورة الأنفال رقم الآية 46 :

« وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ »

في هذه الآية غُنْيَةٌ لرفيع الدين ومحمود حسن عن رجوع محمد قاسم إلى الدنيا قبل يوم القيامة وقد حدث بعد ذلك بين أصحاب رسول الله ﷺ نزاع كثير فمنه النزاع بين علي رضي الله عنه وبين الخوارج وأدى ذلك إلى القتال . فقتل في المعركة آلاف من الفريقين ، ولو ظهر النبي ﷺ للخوارج ونهاهم عن الخروج لم تسفك قطرة دم ، فكيف يترك النبي ﷺ هذا الأمر المهم ولا يرجع إلى الدنيا لهذه المصلحة الكبيرة ؟ ويرجع محمد قاسم إلى الدنيا لوعظ شخص واحد . اللهم إن هذا لمنكر عظيم لا يصدقه أحد إلا من كان محجوبا بظلمات طريقة التصوف عن رؤية نور الوحي . وحدث بعد ذلك الخلاف بين علي ومعاوية فوقعت الحرب بينهما سنين وأزهقت الأرواح الكثيرة ولم يظهر النبي ﷺ لمعاوية ويقل له بايع إمامك ولا تحاربه فإن من خرج عن طاعة إمامه شبراً فمات مات ميتة جاهلية . فكيف يترك النبي ﷺ هذا الأمر العظيم . ولا يرجع إلى الدنيا في جسده الشريف لهذه المصلحة الكبرى ؟ ويرجع محمد قاسم لموعظة شخص واحد هو في غنىً عنها بكتاب الله وسنّة رسُوله . فكروا أيها الناس بعقولكم يا جماعة التبليغ ، ويا من يتبعها من العوام الذين هم في الجهل كالهوام ، ونسيت أن أقول : إن الخلاف وقع بين عائشة وطلحة والزبير من جهة وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى ووقعت الحرب بين الفريقين في البصرة بالعراق ، وعُقر جمل عائشة ، ووقع هودجها على الأرض ، وقتل طلحة والزبير ، وهما من العشرة المبشرين بالجنة . وكذلك علي بن أبي طالب ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، ولو رجع النبي ﷺ إلى الدنيا وكلمهم لما سُفكت قطرة دم ، ولَصَلحت ذات البين . ورجعوا إلى صفاء المودة . فأين هذه المصلحة العظيمة من زعمهم أن محمد قاسم رجع إلى الدنيا قبل

البعث والنشور؟ لماذا ؟ ليقول لرفيع الدين : قل لمحمود حسن يترك النزاع ، ويأخذ خِرقة التصوف على يدك . وهي بدعة ضلالة ، هل يمكنكم يا معشر التبليغيين ، ويا أيها المقلدون العمي الذين يخرجونكم للسياحة المبتدعة المشتملة على تضييع العيال فتخرجون معهم كالإبل والبقر والغنم ، والإبل والبقر والغنم لها مصلحة في الخروج وهي الرعي ، أمّا أنتم فما لكم إلا المفسدة في الدين والدنيا والنفس والمال ، فتوبوا إلى الله وارجعوا عن غيّكم واتبعوا رسول الله ﷺ وأصحابه ، واتركوا البرهمية والبدِّية ، فإن دين الهدى كامل جاء به رسول الله ﷺ ، لا يحتاج إلى دين موسي ولا دين عيسي عليهما السلام فكيف يحتاج إلى دين « برهما » ودين « بدًا » روى البيهقي في الشعب عن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ : (لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم ، أنا حظكم من النبيين ، وأنتم حظي من الأمم) . وفي الصحيح :

أن النبي ﷺ كان جالسا ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجاء عمر رضي الله عنه وفي يده ورقة من التوارة يقرأها فظهر الغضب على وجه النبي ﷺ ، فقال أبو بكر لعمر : ثكلتك الثواكل ، ما ترى ما بوجه النبي ﷺ ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، أتوب إلى الله ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا . فقال رسول الله ﷺ : لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسي حيا ما وسعه إلا إتباعي ، الحديث . ففيما تركه لنا رسول الله ﷺ غاية الكفايه ، فلا حاجة بنا أن يبعث شخص قبل يوم البعث لهدايتنا لو كان ذلك في إمكانه ، فكيف وذلك مستحيل ؟ فإن روح الإنسان في البرزخ ، إما في نعيم أو في جحيم . وفي كلتا الحالين هي مشغولة لما هي فيه عن الرجوع إلى الدنيا لتهدي زيدا أو عَمْرواً ، وإنما الهدى هدى الله .

وكيف علمت روح محمد قاسم أن محمود الحسن مشتغل بالنزاع ولا يعلم الغيب إلا الله . قال الله تعالى في سورة فاطر بعد ذكر خلق البحرين وأشياء كثيرة آخر ما ذكر منها الشمس والقمر رقم 13 : « ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ . إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ .14 » فلو أن رفيع الدين ومحمود حسن دعَوَا محمد قاسم ألف سنة ليتكلم معهما ما آستجاب لهما لأنه مشغول عنهما بالنعيم إن كان من أهله أو بالجحيم والعياذ بالله . ونرجو أن لا يكون من أهله . إذن فهذه خرافات لا تقبلها إلا عقول العجائز الجاهلات . قال محمد أسلم :

ومن شيوخ محمد إلياس أيضا الشيخ أشرف علي التهانوي الحنفي الديوبندي الجشتي حكيم الأمة عندهم ولد سنة 1280هـ وتوفي سنة 1364هـ وهو من كبار مشايخ الحنفية الديوبندية التبليغية المعروف فيما بينهم بحكيم الأمة له مؤلفات كثيرة وهو رجل صوفي بحت وصاحب سلسلة وطريقة ومرشده إمداد الله المكي (المهاجر إلى مكة) وقد هاجر الحاج إمداد الله إلى مكة وتوطن هناك قبل ولادة التهانوي (أشرف علي) لكن لما تفتح عين البصيرة يرفع حجاب الأزمنة والأمكنة ، فرأى الشيخ إمداد الله وكان في مكة تجلي هذا الأمر في الهند ، وحينما كان التهانوي طالباً طلب إمداد الله إلى أبيه أنه إذا سافر للحج يأت بابنه الكبير ، فزار التهانوي إمداد الله ففرح جدا وشرفه بالبيعة والخلافة والإجازة وكانت عليه عنايته فكانت حرارة العشق تلتهب في داخل النفس(1)

قال محمد تقي الدين : قوله لما تفتح عين البصيرة يرتفع حجاب

(1) بيس بري مسلمان ص 316 — 317 .

الأزمنة والأمكنة هذه العبارة فاسدة من حيث اللغةُ العربية ، لأن « لمّا » إذا دخلت على المضارع لا تكون إلّا حرف نفي ونفيها يستمر إلى وقت التكلم ، وأما التي بمعنى حين فلا تدخل إلا على الفعل الماضي . وصواب هذا الكلام : إذا فتحت عين البصيرة... الخ وهذا ادعاء لعلم الغيب . قال القسطلاني في شرح حديث البخاري : مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله . قال الزجاجيُّ من زعم أنه يعلم شيئاً من هذه الخمس فهو كافر بالقرآن العظيم . وفي الصحيح . أن قوما من العرب جاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا : إنا قد أسلمنا ونحن قبائل كثيرة لو جئنا المدينة لضيقنا على أهلها فابعث معنا من يعلمنا الإسلام فبعث معهم النبي ﷺ القراء وعددهم سبعون رجلا ، فلمّا وصلوا إلى بلادهم قتلوهم كلهم إلا واحدا ، فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بغدرهم فقنت النبي ﷺ شهراً كاملا بعدما يرفع رأسه من ركوع الركعة الأخيرة في الصلوات الخمس كلها ، يدعوا على أولئك الأحياء من العرب ، يقول : اللهم العن رِعْلاً وذكوان وعُصَيَّةَ عصت الله ورسوله قال أنس : حتى أنزل الله عليه : « لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ » فترك القنوت ولم يعد له . محل الشاهد هنا هل كان النبي ﷺ يعلم أن أولئك العرب كاذبون غادرون ، وسيقتلون أصحابه التسعة والستين؟ أو لم يكن يعلم ذلك . كل مسلم يقول : لم يكن يعلم ذلك وكل عاقل من الكفار أيضا يقولها فظهر أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب . قال الله تعالى في سورة الأعراف رقم الآية 188 : « قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ، وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ، وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ، إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ ، وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » فكيف يعلم إمداد الله ما يجري في الهند وهو بمكة ؟ فهذا من بَنَاتِ غَيرٍ قال الشاعر :

إذا ما جئتَ جاءَ بناتُ غيرٍ
وإن ولَّيْتَ أسْرَعْنَ الذَهَابَا

قوله : فكانت حرارة العشق تلتهب في داخل النفس . جهل بالعربية . فإنه لا يعشق إلا ما ينكح والصوفية من جهلهم باللغة العربية يزعمون : أنهم يعشقون الله تعالى ، والله تعالى منزه عن العشق . وإنما هو الحب يحب عباده الصالحين ويحبونه وقد عاب عليهم ذلك ابن الجوزي رحمه الله في كتابه « تلبيس إبليس » وأنشد فيهم :

أرى جيل التصوف شر جيل
فقُل لهُمُ وأهْون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه
كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

رؤيا الشيخ أنوار الحسن الكاكوري وتأويلها

قال محمد أسلم : كتب أحد مريدي الشيخ أشرف علي التهانوي إلى شيخه بما يلي : « إني رأيت نفسي في المنام بأني كلما أسعى أن أقول كلمة الشهادة على وجهها الصحيح يجري على لساني بعد لا إله إلا الله أشرف علي رسول الله فيجيب التهانوي عن ذلك ويقول : إنك تحبني إلى غاية هذه الدرجة ، وهذا ثمرة هذا الحب ونتيجته » وقد قص هذا المُريد في خطاب وجهه إلى مرشده التهانوي هذه القصة فقال له بعد ذكر الرؤيا : فاستيقظت من الرؤيا فلما خطر ببالي خطأ كلمة الشهادة أردت أن أطرح هذا من قلبي ولهذا القصد جلست ثم اضطجعت على الشق الثاني ، وبدأت أقول : الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لأتدارك هذا الخطأ ، لكني قلت : اللهم صل على سيدنا ونبينا ومولانا

أشرف علي . والحال أني مستيقظ الآن . ولست في رؤيا . مع هذا أنا مضطر ومجبور . ولا أقدر على لساني .[1] وكان جواب الشيخ التهانوي لهذا المريد أن قال : « في هذا تسلية لك بأن الشخص الذي ترجع إليه هو بعون الله وتوفيقه متبع السنة »[2]

قال محمد تقي الدين : « هذا كفر من المريد الذي ينبغي أن يسمى مَريداً بفتح الميم وشيخه شر منه ، لأنه أقرَّهُ على الكفر . وكان الواجب على الشيخ لو كان مهتديا سالكاً محجة الصواب أن يقول لمُريده ، بل مَريده : تُبْ إلى الله من هذا الكفر . فقد أضلَّك الشيطان . فإن رسول الله لهذه الأمة المحمدية واحد ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلوات الله وسلامه عليه . وأعوذ بالله أن أرضي بما جرى على لسانك من نزغات الشيطان . وكتب الأستاذ عبد الماجد دريابادي من خلفاء التهانوي إلى مرشده :

« إن عدم التوجه في الصلاة مرض قديم لكني جربت أني ما دمت تصورت جنابك في حالة الصلاة... توجهت في هذه المدة . لكن المصيبة هي أن هذا التصور لا يبقى إلى وقت طويل . وعلى كل حال . إن كان هذا عملاً محموداً فَلْيُصَوبْ من جنابكم وإلا فأحتاط في المستقبل »

جواب الشيخ التهانوي : « هذا عمل محمودٌ إن لم يطلع عليه الآخرون

قال محمد تقي الدين : « بيان هذا الكلام أن المريد عبد الماجد شكا إلى شيخه التهانوي أن قلبه يغفل في الصلاة ويشتغل بأمور الدنيا لكنه

(1) برهان فبراير (195 دلهي ص 7)
(2) رسالة امراد تهانة بهون شوال 1325هـ

إذا تصور صورة شيخه بقلبه يتغلب شيئا ما على هذه الغفلة ، والتفكر في أمور الدنيا ، فإنْ كان هذا شيئا محموداً عند الله ، وصوابا يقرب إلى الله ، يستمر فيه . وإن كان خطئاً وضلالاً فليخبره بذلك حتى يتركه ، فأخبر التهانوي مريده بأن ذلك التصور صواب محمودٌ ، لكن يجب عليه أن لا يُخبر بذلك أحداً ، بل يبقي هذا الأمر سرّاً بينه وبين شيخه . وهذا في غاية ما يكون من الضلال ، فإن استحضارهُ صورة شيخه في الصلاة شرك بالله ، وكفر يشغله عن الله تعالى ، ويبعده من الخشوع الذي هو روح الصلاة .

قال تعالى : بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ « قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » وهذا النوع من الشرك مشهور عند المتصوفة أصحاب الطرائق القِدَدِ . وأنا بنفسي حين طلبت الورد من الشيخ عبد الكريم المنصوري لأبايعه على الدخول في الطريقة التجانية لقنني الأذكار وهي « لا إله إلا الله » مائة مرة ، « أستغفر الله » مائة مرة ، الصلاة على النبي بصلاة الفاتح مائة مرة ، قال لي « وإذا شرعت في الذكر فلتكن مستقبل القبلة ، جالساً كجلوسك للتشهد ، مغمض العينين ، لا تتكلم مع أحد ما دمت تذكر ، وتصور بقلبك صورة شيخك الشيخ أحمد التجاني . وجهه أبيض ، مشرب بحمرة ، وله لحية بيضاء ، على رأسه عمامة . فكنت أفعل ذلك ، وهو شرك وكفر ، ولكن التجانيين لا يؤمرون بذلك في الصلاة . فهؤلاء زادوا على شركهم فنعوذ بالله من الضلال ، فإن من ترك الكتاب والسنة واستبدلها بأوهام المتصوفة لم يبق له دين ولا عقل كما قال الشافعي رحمه الله : « لو أن رجلا صاحب الصوفية من الصبح إلى الظهر لذهب عقله ». قال محمد تقي الدين : وكذلك دينه ، وماله يذهبان أيضا وذلك هو الإفلاس العظيم . « أنظر تلبيس إبليس للحافظ ابن الجوزي » وكتب مؤلف أشرف السوانح

الخواجة عزيز الحسن « عن نفسه » الذي كان مريدا محبوبا عند التهانوي يقول :

« إنه خطر ببالي مراتٍ يا ليتني كنت امرأة في نكاح حضرتك فسرّه إظهاره هذه المحبة إلى حد وضحك، ودخل المسجد قائلا إن هذه محبتك « وتثاب عليها وتثاب عليها » (1)

قال محمد تقي الدين : « هذا المريد جاهل أحمق ، يتمنى أن يكون امرأة يتزوج به شيخُه ، والعجب من الشيخ أنه رضي بذلك ، وزعم أن المريد يُثاب عليه . وهذا دليل على صحة كلام الشافعي رحمه الله .
قال محمد أسلم : وقد حدثت واقعة عجيبة بعد موت جدِّ التهانوي فجاء إلى بيته مثل الأحياء وأعطى أهل بيته الحلوى وقال : إذ لم تُظهري هذا لأحدٍ أحضر كل يوم هكذا . ولكن خاف أصحاب البيت : أنه لو رأى الآخرون أن الأطفال يأكلون الحلويات فلا يعلم ماذا يُثير منهم الشُبه فأظهروا الأمر فما حضر مرة ثانية وهذه الواقعة أمر مشهور في أهل البيت (2)

قال محمد تقي الدين : وهذه أيضا خرافة عجيبة فإن النبي ﷺ لم يزر فاطمة والحسن والحسين بعد وفاته ، ولم يقدم لهم الحلوى ، وما فعل ذلك مع عائشة ولا غيرها من أزواجه الطاهرات ، وما فعله أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، ولا أحد من الصحابة ، ولا من التابعين ، فمن بعدهم ولا خطر في رؤية الناس أطفال التهانوي يأكلون الحلوى . إلاّ إذا كانت من حلوى الجنة فإنها حينئذ يفتتن بها الناس فلماذا حرمت هذه المرأة أولادها من أكل الحلوى الآتية من

(1) ـــ أشرف السوانح ج 12/2
(2) ج . ص 12

الغيب كل يوم ، في الإمكان أن تحبسهم في البيت حتى ينتهوا من أكل الحلوى . ولكن المتصوفة إذا خطرت في بالهم خرافة يقولونها بدون تفكير في عواقبها . وقد تذكرت حكاية من المضحكات تحكى عندنا في سجلماسة وهي أن أبا أحمق قال لابنه الصغير : يا بني ! رأيت فأرة ذكرا تجري خلف فأرة أنثى من قرية القارة إلى قرية أولاد عُمَيْرَة . وكان الصبي ذكيا بخلاف أبيه فقال « يأبتي : كيف استطاعت الفأرة الذكرُ أن تجري خلف الفأرة الأنثى من القارة إلى أولاد عُمَيْرَة ، وبين القريتين نهر جارٍ ؟ فقال الأب : إذن يا بني : أرجع عما قلته . أما في حكاية زوجة التهانوي فلم يوجد غلام ذكي من بين أبنائها يقول لها يا أمي لا تخبري أحداً بهذه الكرامة فني امكاننا أن نأكل الحلوى الغيبية كل يوم سرًّا ، ولا نخبر بذلك أحداً . وقال الشيخ التهانوي ثم قال محمد أسلم : « إن قلب الشيخ عبد الرحيم الرايفوري كان نورانيا جداً فكنت أخاف أن أجلس عنده خشية أن تنكشف عيوبي (١)

قال محمد تقي الدين : إذا سلّمنا أن قلب هذا الشيخ الرايفوري كان نورانيا جداً بحيث أنه يعلم الغيب ويعلم أحوال كلٍّ من جلس عنده فكيف تقول في رسول الله ﷺ الذي ينزل عليه الوحي من السماء ؟ وقد جلس عنده أولائك العرب الغادرون ، وقالوا : إننا قبائل كثيرة قد أسلمنا ونريد أن تبعث معنا من أصحابك عددا كثيراً يعلموننا الإسلام ، فبعث معهم سبعين رجلا كلهم يحفظون القرآن ، ويعرفون السنة ، فأخذوهم إلى أرضهم فقتلوهم كلهم إلا واحداً ، ولم يعرف ذلك رسول الله ﷺ حين جلسوا عنده . فهل يمكن أن يكون قلب الرايفوري أعظم نوراً من قلب النبي ﷺ ؟ كلا ! وإنما ذلك هَوَسٌ

(١) أرواح ثلاثة ص 451

كان يجده التهانوي في نفسه ، ثم يقال له أيضا : إذا كان شيخك يعلم الغيب فلا تخفى عليه أحوالك سواء كنت في مجلسه أو بعيداً عنه .

ثم قال محمد أسلم : جاء في كتاب مكالمة الصدرين قول شَبِّير أحمد العثماني أنه قال للشيخ حفظ الرحمن السِّيُوهَارْوي : تنبه ان الشيخ أشرف علي التهانوي إمامنا ، وشيخنا جميعا ، وقد سمع من بعض الناس أن الحكومة البريطانية كانت تعطيه ستمائة روبية شهريا (١) » « وأخو التهانوي مظهر علي وظيفته عظيمة في محكمة الجواسيس إلى آخر العهد وليس ببعيد منه ما فعل (2) » . قال محمد تقي الدين : هذا الأمر ليس بغريب فإن أصحاب الطرائق المتصوفة في كل مكان كانوا عونا لأعداء البلاد المستعبدين لقومهم إلا طريقتين اثنتين لا نعرف لهما ثالثة في المغرب الأكبر : الطريقة السانوسية في طرابلس وقد لقيت شيخها مرارا لما كان منفيا في مدينة الرسول ﷺ وهو الشيخ أحمد السانوسي كنت في ذات يوم جالسا في الروضة النبوية بين المنبر وبيت عائشة إلى جانب رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رحم الله أمواتهم وبارك في أحيائهم وكان الشيخ أحمد السانوسي قريبا مني فقام وتوجه إلى حجرة عائشة ورفع يديه كأنه يسأل شيئا من الحجرة أو من الله بواسطة الحجرة تاركا القبلة عن يمينه وقام إليه الشيخ عبد الله بن حسن وضرب يديه بالعصا قائلا يا هذا الطاغوت ! أما تستحيي من الله في هذا المكان المقدس تشرك بالله ؟ فسكت الشيخ أحمد السانوسي ، ولم ينبسْ ببنت شفة . والطريقة الأخرى التي لم ينصر أصحابها الاستعباد الأجنبي والعدوان هي

(١) مكالمة الصوفيين ص 11 ص ديوبند

(٢) مكتوبات حسني الإسلام حسن أحمد الديوبندي ج 2 ص 299.

طريقة الشيخ ماء العينين في جنوب المغرب ، فهتان الطريقتان حارب أصحابُها المعتدين فالسانوسيون حاربوا الإيطاليين ، وأصحاب ماء العينين حاربوا الفرنسيين .

مرض الشيخ علي ووفاته

« وبعد ذلك غشي عليه ولم يفق ساعة وربعها وزاد التنفس مع الصوت وإذا تنفس إلى الجهة العليا فكم رأى من رأى أنه يخرج من بين أصبعيه الوسطى والسبابة ومن ظهر كفه نور بقوة تتضاءل بها أمامه لمعات الكهرباء وكان هذا النور يظهر ويخفي مع صعود النفس ونزوله . وبانتهاء التنفس عاد هذا النور ، وليس بعجيب أن يكون هذا النور منبثقا من أنامله كانت تظهر منها المعارف والحقائق إلى زمن طويل (1)

قال محمد تقي الدين : إن المريدين يبالغون في تعظيم شيوخهم حتى يتخذوهم أرباباً من دون الله ، فيتخيلون فيهم أشياء لا حقيقة لها : خلفاؤه ورفقاؤه وتلامذته :

الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ ، الأستاذ أبو الحسن على الندوي الجشتي الصوفي هو من كبار علماء التبليغ ومدير دار العلوم لندوة العلماء « لكهنوا الهند » وعضو لرابطة العالم الإسلامي وعضو لمجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة ، كاتب إسلامي كبير ومؤلف شهير ومشهور ، أديب معروف باللغة الأردية واللغة العربية ، يسحر العرب والعجم بقوة كلامه باللغة العربية . مبايعته : بايع الشيخ عبد القادر راي بوري الذي هو من مشائخ السلسلة الجشتية : قال محمد تقي الدين : لم أكن أعلم أنَّ الأستاذ عليا أبا الحسن الندوي هو أخ للشيخ محمد إلياس في الطريقة الصوفية مع أنه أفضل تلامذتي في الأدب

(1) « بيس برى مسلمان »

العربي بعد مسعود عالم الندوي فإني كنت أظنه من أتباع الشيخ محمد إلياس في التصوف وهو كما قال محمد أسلم : والذي يحول بينه وبين الكمال والاستقامة وهو تصوفه وتقليده للمذهب الحنفي ، فعسي الله أن يتوب عليه من التقليد ، ويهبه الاتباع كما تاب على مسعود عَالَمْ الندوي فإن التقليد يحول بين صاحبه وبين اتّباع النبي ﷺ في العقائد والعبادة والسلوك . إنَّ الله تواب رحيم .

نبذة من أفكاره

« الدنيا رآها المتنورون لكني رأيتها أكثر منهم ومع هذا أقول بطريقة المبايعة الجشتية النقشبندية القادرية السهروردية » وأعمل عليها (1)

قال محمد تقي الدين عفا الله عنه : كل من عرف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حق المعرفة يستحيل أن يتمسك بطريقة من طرائق الصوفية ، بل يتبع كتاب الله وسنة رسوله ، والصحابة الكرام . وقد نزههم الله عن الطرائق القدد وأمرنا باتباعهم بإحسان بلا زيادة ، ولا نقصان . قال تعالى في سورة التوبة :

« وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ »

وقد بايع على يديه في المسجد النبوي بعض طلبة الجامعة وغيرهم في السنة الراهنة حينما حضر المدينة في مؤتمر الدعوة ، والشاهد بهذه البيعة الطالب بالجامعة حفيظ الرحمن الباكستاني في السنة الثالثة في

(1) من محاضره : دروس من حياه الأستاذ عبد الباري الندوي بمجلة الحق الشهرية أكورة ختك بشاور باكستان ص 34 ج 11 عدد 1 ـ 7 ربيع الثاني جمادي الأولى سنة 1396هـ ابريل مايو 1976 .

كلية الشريعة ، ولما حضر المدينة في السنة الماضية للحضور في مجلس التأسيس للجامعة الإسلامية ، لقيه الطالب شريف طاهر الكردي العراقي السنة الرابعة بكلية الشريعة . فقال الطالب للشيخ الندوي : أنا أتعلق بأسرة ابن تيمية . فقال الشيخ الندوي وقد وجد في أسرتك علماء مشاهير أكبر من ابن تيمية ، أمثال خالد النقشبندي « ويلاحظ أنه هو الذي جاء بالطريقة النقشبندية من بلاد الهند وروجها في البلاد العربية » : يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في مقدمة كتاب : « سيرة محمد يوسف الدهلوي » « أنا قبلت المسؤلية . أنا أساعد السيد محمد الثاني الحسني ، وأوجّه إليه التوجيهات الكاملة الحاصلة من تجربتي . وأقرأ ما يكتبه لفظاً لفظاً ، وكلمة كلمة ، وبهذه الطريقة أساهم في تأليف هذا الكتاب » (١)

وقد سمع الشيخ زكرياء « شيخ الحديث والمشرف الأعلى على جماعة التبليغ » أكثر الأجزاء من مسودة الكتاب كلمة كلمة . وسعى في ملء الفراغ الحائل فيه من ناحية التاريخ والوقائع (٢) .

— شيء من الكتاب المذكور — الميت يتكلم : وقد صلى الناس صلاة الجنازة مرات لكثرة الناس وحصل التأخير في الدفن وأثناء ذلك رأى الشيخ « صاحب إدراك » أن الشيخ محمد إسماعيل الكاندهلوي « والد الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ » الميت يقول : « ودّعوني بسرعة فأنا خَجِلٌ جداً لأن الرسول ﷺ ينتظرني مع أصحابه » (٣)

(١) من محاضرة دروس من حياة الأستاذ عبد الباري الندوي بمجلة الحق الشهرية : إكوره ختك شاور باكستان صفحة 26 .

(٢) صفحة 67

(٣) سيرة محمد يوسف ص 63 موطن إلياس ودعوته الدينية لأبي الحسن الندوي ص 39 .

قال محمد تقي الدين : في هذا الكلام مسائل الأولى البيعة المبتدعة التي يسميها المغاربة « الورد » و « الطريقة » ولا تشرع البيعة في الإسلام إلا للنبي ﷺ ، وللخليفة المسلمين . والثانية : زعم علي أن خالد النقشبندي الطرقي المبتدع أفضل من شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية . لا يصدقه فيه أحد من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين وإنما هو تعصب للطريقة البدْعية نعوذ بالله من الضلال . هذا شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ملأ الدنيا عِلْماً وعملا فماذا صنع خالد النقشبندي ؟ لم يصنع شيئا غير نشر بدعة الطريقة المضلة فهو لا يساوي أقل تلامذة شيخ الاسلام ومن يضلل الله فما له من هاد . المسألة الثالثة : دعوى أن محمد إسماعيل تكلم بعد موته وزعم أن النبي ﷺ وخلفاءه ينتظرونه ، هَوَسٌ من أصحاب الطرائق ومن مزاعم التجانيين أن من قرأ بالإذن الخاص صلاة عندهم تسمى « جوهرة الكمال » وهي صخرة الخبّال لأن النبي ﷺ وُصف فيها بالأسقم وبالمُطَلْسَم من قرأها بزعمهم سبع مرات يجيء النبي ﷺ والخلفاء الأربعة ويجلسون أمامه مادام يقرأ تلك الصلاة ، وهذه أعرفها شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخْزَم وهي من خبط المتصوفة . وحرر الشيخ زكرياء شهادة الإجازة والخلافة التي أعطاها الشيخ إلياس لولده الشيخ محمد يوسف فقال فيه : أنا أجيز هؤلاء للبيعة فأضاف فيها الشيخ محمد إلياس وأملى « وأنا أجيزها نيابة عن الرسول ﷺ » قال محمد تقي الدين : إن الرسول ﷺ بريء من بدع المتصوفة وقد قال النبي ﷺ : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »

« انتقال النسبة »

يزعم تلامذة الشيخ محمد إلياس — ومنهم محمد منظور النعماني —

قال وقد يوافقني على ما أقول : أبو الحسن علي الندوي ومحمد زكرياء تحت مسؤوليتها عن هذا الكتاب المسمى « حياة محمد يوسف » وهذا يرضي روح الشيخ من عندنا ولسنا نحن البعيدين عن الشيخ محرومين من أنفاسه ونفائسه « كلام الشيخ أبي الحسن الندوي » قال محمد تقي الدين : التعبير بالحياة عن السيرة إنكليزي وفرنسي ومن ذلك كتاب ألفه بعض التبليغيين وسماه حياة الصحابة جهلاً منه بالتعبير الصحيح وهو : « سِيَر الصحابة » فإن الحياة في اللغة العربية ضد الموت « قال تعالى : « ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ ».

وقوله لسنا محرومين من أنفاسه ، ونفائسه . ماذا يريد بالأنفاس هنا ؟ من المعلوم أن الأنفاس جمع نفس وهو التنفس وهذا لا يكون إلا في حياته ولا ينتفع به غيره . أما النفائس فإن كانت هي السياحة وتفسيره لقوله تعالى : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ». فما لكم فيها إلا الشر ، فالسياحة عِنَادٌ للرسول ﷺ ، أو جهل بسنته . وأما الآية : فقد تقدم الكلام فيها .

قال محمد أسلم : قال أبو الحسن الندوي : في كتابه سيرة السيد أحمد شهيد : ويقول « وأراد رحمه الله في الليلة السابعة والعشرين أن يحييها ويعبد فيها لكن غلب عليه النعاس بعد العشاء فنام وأيقظه رجلان بإمساك يديه في ثلث الليل ، فرأى أن النبي ﷺ جلس على يمينه ، ورأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس على شماله ، ويقول له : ﷺ . يا سيد أحمد . قُم بسرعة وٱغتسل فلما رآهما سيد أحمد أسرع إلى الحوض في المسجد على رغم كون الماء في الحوض من البرد كالثلج فٱغتسل من هذا الماء وفرغ منه ثم حضر في خدمته ﷺ . فقال عليه الصلاة والسلام : يا ولدي الليلة ليلة القدر ، فاشتغل في ذكر الله

والدعاء والمناجاة ثم ذهبا بعد ذلك(1)

قال محمد تقي الدين : هذا يذكرنا بادعاء التجانيين لشيخهم أنه رأى النبي ﷺ يقظة لا مناما ، وحدثه أحاديث كثيرة ذكرت بعضها في كتابي : « الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية » وأقمت البرهان على أن تلك الروايات كذب واضح . إلا أن هذه الحكاية لا تتضمن ما تضمنته حكايات التجانيين عن شيخهم ، وقد تكلم النبي ﷺ في بيان ليلة القدر وروى أحاديثها أصحاب الكتب الستة وغيرهم . فأي حاجة بقيت للنبي ﷺ حتى يخرج من قبره الشريف قبل يوم القيامة لأجل أن يقول للشيخ أحمد المذكور : الليلة : « ليلة القدر ». ولم يقع هذا لأبي بكر الصديق ، ولا لأحد من الخلفاء ، ولا من الصحابة ، لأنهم أعلم وأورع من أن يأتوا بمثل هذه الحكايات التي لا يصدقها إلا المتصوفة الجاهلون الذين يتشبّعون بما لم يعطوا ، فهم لثياب الزور لابسون ، وعن الصراط ناكبون . ونحن لا يمكننا أن ننسب هذه الحكاية إلى الشيخ أحمد الهندي رحمه الله ، ويا عجبا كيف يقول النبي ﷺ لهذا الشيخ يا سيد أحمد وهو الذي يقول عليه الصلاة والسلام : السيد هو الله ، وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (أنا سيد ولد آدم)، يعني : أنه أفضلهم كما جاء في الحديث : فلُدغ سيد ذلك الحي ، في قصة أبي سعيد الخدري ، وهي في صحيح البخاري . وقوله حضر في خدمته : اصطلاح هندي يستعمل في لغة أُردُو . وهو غفلة من علي أبي الحسن ، مع فصحاته ، فقد سرقته لغة أُرْدُو في هذا الموضع . فبأي شيء يخدم النبي ﷺ ولا حاجة به إلى خدمة أحد بعد مفارقته لهذه الدنيا الفانية ، والخطب في ذلك سهل ؟

(1) سيرة السيد أحمد شهيد لأبي الحسن الندوي ص 84.

ثم قال محمد أسلم : قال الشيخ محمد سردار الباكستاني الساكن في باب المجيدي : ظللت في جماعة التبليغ عشر سنين تقريبا . وكثيراً ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ « ذاك الوقت » قريبا من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس رحمه الله ، في محلة نظام الدين « مقر الجماعة » في دلهي ، فكنا نجلس حول قبره وقتا طويلا ، في حالة المراقبة ساتري الرؤوس .

وكان محمد يوسف يقول أن صاحب هذا القبر شيخنا « محمد إلياس » رحمه الله يوزع النور « الذي ينزل من السماء في قبره » بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به . وكذلك كنا نجلس أيضا على قبر الشيخ عبد الرحيم راي بوري في هيئة المراقبة .

الشيخ محمد يوسف كان يجلس مراقباً عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال قيامه في المدينة المنورة . وهذه الطريقة معروفة بين مشايخ جماعة التبليغ وهم يعملون عليها بالكثرة .

قال محمد تقي الدين : قول محمد يوسف أن صاحب هذا القبر يعني : أباه محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به ، هذا يسمى في إصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوف : استمدادا . وقد تقدم أن الشيخ عبد الكريم المنصوري السجلماسي لما أعطاني الطريقة التجانية أمرني إذا جلست لذكر الله تعالى أن أتصور صورة الشيخ « أحمد التجاني » أمامي وعمود من النور يخرج من قلبه ويدخل في قلبي ، يعني أنه ينور قلبي ويشرح صدري ويؤهله للفيوض . وهذا كفر صريح . وقد أخبرني الثقات أن عليا أبا الحسن الندوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ مستقبلا الحجرة الشريفة في غاية الخشوع لا يتكلم ساعتين وأكثر .

فاستغربت هذا الأمر ، وفهمت أنه إستمداد ، ولم أكن أعلم أن هذا شائع عندهم في طريقتهم ، إلى أن كشفه محمد أسلم جزاه الله خيرا . فهذا شرك بالله تعالى ، واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربه ، وقد رأيت في كتاب : « كشاف القناع في شرح الأقناع » من أشهر كتب فقه الحنابلة ما نصه : قال الشيخ رحمه الله : من اتخذ وسائط بينه وبين الله كفر إجماعاً ، والمراد بالشيخ هنا : هو « شيخ الإسلام أحمد بن تيمية » ومن المعلوم أن الله تعالى هو الذي يمد عباده بالأرزاق الحسية ، كالطعام والشراب ، وقوة البدن ، وبالأرزاق المعنوية ، كهداية القلوب ، وتنويرها ، وشرح الصدور ، والتجليات لها ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى واسطة يتوسط بينه وبين خلقه في منحهم تلك الأرزاق ، لا من الملائكة ولا من الأنبياء ، ولا من الصالحين . فالملائكة يستغفرون للمؤمنين ، ويسألون الله لهم الرحمة ، ولا يستطيعون أن يعطوهم مثقال ذرة من ذلك ، ولا أقل . والأنبياء يعلمون أممهم ، ويبلغونهم رسالة ربهم ، ولا يستطيعون أن يعطوا أحدا منهم مثقال ذرة من الهداية ، ولا أقل من ذلك ، لأن الهداية بيد الله وحده . قال الله تعالى لسيد الأنبياء : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » . وطرائق المتصوفة يشبه بعضها بعضا في ضلالاتها ، وشركها . فالحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، ومن ظلمات البدع إلى نور السنن . وقول محمد يوسف : أن أباه محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل عليه من الله تعالى على حسب ارتباط المريدين به ، وقوة إخلاصهم واستمدادهم ، أدهى وأمر مما تقدم . وزيادة وضوح لهذا النوع من الكفر . فنسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى أن يهديهم كما هدانا أو أكثر ، ويبين لهم طريق الحق ، كما بينه لنا ، حتى ينفضوا أيديهم من طرق الضلال ، ويعادوها وينبذوها نبذ النوى

أو نبذ الحذاء... المرقع ، كما قال الحريري رحمه الله . فإنا لله وإنا إليه راجعون . كيف خدع الشيطان كثيراً من هذه الأمة وأوقعهم في حبائل الضلال وهم لا يشعرون .

صفة البيعة لمحمد يوسف بعد وفاة أبيه .

قال محمد تقي الدين : من المعلوم عند أصحاب الطرائق المتصوفة لُبس الخرقة ، وهي مثل أخذ الورد أو العهد عند التجانيين فيلبس الشيخ ثوبا كل من أراد أن ينضم إلى طريقته ويعاهده على الطاعة العمياء ، وقد رأيتم نماذج من ذلكم لما أمتحن بعض شيوخ طريقة التبليغ مريده بقوله : أتستطيع أن تقول لا إله إلا الله شيخي فلان رسول الله ، فكان المريد يبادر إلى قولها ، وجميع المتصوفة أو أكثرهم يوجبون على من دخل في طريقتهم أن يطيعهم طاعة عمياء ، ولو أمروه بالكفر ، أو المعصية ، كما تقدم في قصة أشرف علي التهانوي مع مريده . ويقولون : من قال لشيخه لِمَ ؟ لا يفلح أبدا . وأنشد قائلهم :

وكن عنده كالميّتِ عند مغسّل   يقلّبه ما شاء وهو مطاوع

ومن ذلك ما ذكره صاحب الإبريز في مناقب « الشيخ عبد العزيز » زعم أن شيخه عبد العزيز حكى له حكاية ليعرفه كيف يطيع المريد شيخه . قال : خدم مريد شيخه سنين بدون كلل ، ولا ملل ، فلما أراد أن يفتح عليه بالولاية إذا نجح في الامتحان ، قال الشيخ للمريد يا فلان أتحبني ؟ قال نعم ، كل المحبة . وتطيعني في كل ما آمرك به ؟ قال نعم ، كل الطاعة . قال : فلو أمرتك أن تذهب إلى بيت أبيك وتضرب عنقه وتأتيني برأسه أتفعل ذلك ؟ فانصرف ولم يكلمه بكلمة فوصل إلى بيت أبيه ووجد أباه يجامع أمه فقطع رأسه وجعله في مِخلاةٍ وجاء به إلى شيخه ووضعه أمامه ، وكان الشيخ في بيت مظلم ،

فقال له ما هذا ، فقال المريد : هذا ما أمرت به ، فقال الشيخ أنا ما أمرتك بشيء ، فقال المريد : إن كلامك عندي كله جدٌّ ليس فيه هزل ، قال الشيخ خبرني ما هذا قال هذا رأس أبي الذي أمرتني بضرب عنقه والإتيان إليك برأسه ، فقال يا مجرم أما تخاف الله كيف تقتل أباك وترتكب هذا الذنب الكبير؟ أأنت مجنون ، أنا ما أمرتك بشيء ، أنا سألتك سؤالا فقط . فقال المريد : قلت لك من قبل : إن كل ما تقوله عندي جد ، وليس فيه هزل . فقال الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله . أوْقد القنديل . وأتني به فجاءه بالقنديل وأخرج الرأس فإذا هو رأس نصراني كان جاراً لهم ، وكان يزني بأمه فكاشف الشيخ أرض الله عليه أنه سيزني بأم مريده في الوقت المعين ، فأراد أن يصيد عصفورين بحجر واحد . العصفور الأول : هو امتحان مريده ، هل يستحق إعطاء الولاية أم لا ؟ والعصفور الثاني : هو قتل ذلك النصراني المعتدي على حُرمَة المريد وحُرمة أبيه . فأعطاه الولاية فصار ينظر إلى العرش ، وإلى ما تحت الثرى . فهذه الحكاية تبين لنا مقدار الطاعة العمياء التي يطلبها شيوخ التصوف من مريديهم ، وأخبرنا محمد أسلم : أن الأرديَّة وزعت على آلاف الرجال والنساء في الهند وباكستان علامة على مبايعة الشيخ الجديد محمد يوسف على السمع والطاعة المطلقين ، ولا يجوز لمسلم أن يطيع شخصا طاعة مطلقة البتة ، لأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله ورسوله ، لأن الله رب العالمين ، ورسوله حجة الله على العالمين ، وهو معصوم من الأمر بغير ما أمر الله به . قال تعالى : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى » فنعوذ بالله من فقد العقل والدين .

الشيخ محمد يوسف البنوري الحنفي الديوبندي الجشتي

قال محمد أسلم : إنه من شيوخ جماعة التبليغ وحكى عنه خرافات كثيرة من مكالمة الله ورسوله ﷺ . ومن ذلك : أنه يؤيد ابْنَ عربي الحاتمي القائل : « بوحدة الوجود » كما أنشد في كتاب الفتوحات المكية من شعره ، بل من بعره :

العبد رب والرب عبد   يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك حق   أو قلت رب أنى يكلف

وقال فيه الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني في داليته المشهورة التي مدح بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى :

وأكفر أهل الأرض من ظن أنه
إلهٌ تعالى الله جلَّ عن النِّدِّ
مسمّاهُ كل الكائنات بأسرها
من الكلب والخنزير والفهد والقرد

قال محمد تقي الدين : وبيان ذلك أن ابن عربي الحاتمي الذي يؤيده محمد يوسف البنوري من دعاة « وحدة الوجود » بمعني أن الوجود واحد . فالحق هو الخلق . والخلق هو الحق . فباعتبار الصور والأشكال نسميهم خلقا . رجلا . وأمرأة . ودابة . وحجرا . وماءا . وشجرا . وباعتبار الهيولى : وهي المادة التي تتكون منها المخلوقات . وترجع إليها بعد فنائها . وهذه المادة لا تفنى . ولا أول لها ولا آخر ، وهي الله . بزعمهم . وكتب ابن عربي مملوءة بهذا الكفر . كالفتوحات . والفصوص . وغيرهما . فهذا التبليغي محمد يوسف البنوري أضاف إلى بدعته وضلالاته عقيدة وحدة الوجود . ضغثاً على إبّالة ومن مزاعم

البنوري : أنه قرأ على الإمام البخاري صحيحُه في المنام . وأخذ منه الإجازة . كما أنه قرأ على العيني شرح البخاري . وعلى الحافظ ابن حجر العسقلاني ، كتابه فتح الباري ، وأخذ منه الإجازة . ويكذب ذلك كله ما جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ وهو قوله : (وإنما العلم بالتعلم). وسافر جابر بن عبد الله في حديث واحد مسيرة شهر من المدينة إلى الشام ، ورحل البخاري نفسه في طلب علم الحديث رحلة طويلة . وكذلك أحمد بن حنبل . وغيرهما من الأئمة . وزعم البنوري أن النبي ﷺ قال له : يأتيك شخص نوراني بسكين نورانية . فيشق جوفك ويخرج قلبك . وينظفه . ويرده إلى مكانه . ثم يخيط الشق . وهذا لا يحتاج إلى تعليق . وخطر ببال البنوري يوما : أنه إذا كان في سكرات الموت قد يأتيه الشيطان ويُضلُّه . فقال له النبي ﷺ : كيف يأتيك الشيطان وأنا سأكون حاضرا عند وفاتك ؟ فهذه خرافات التجانيين عند هؤلاء القوم تشابهت قلوبهم . « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ » بسورة الزخرف رقم الآية 36 ــ 37 . وزعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام يقول لبادشاه خادم والده : (يا بادشاه الخدمة التي تقوم بها أنت أقوم بها أنا أيضا) . فويل لمن يعتقد أن النبي ﷺ يخدم أباه وهو الذي كان جبريل في خدمته .

رؤيته لله عز وجل

قال : إن والده زكريا رأى الله تعالى . فقال له الله تعالى : إن مثلك عندي مثل مولود عمره يومان أو ثلاثة أيام في حضن أمه ، ما يعرف المولود ما تفعل به أمه . قال : ورأيت الله متمكنا على الكرسي ، وأنا أطوف به .

قال محمد تقي الدين : من ذا الذي يمثل الله تعالى بأمه ؟ إلا من فقد العقل والدين والحياء . «فلا تضربوا لِلَّه الأمثال » . وكان البنوري يقدس السفاح جمال عبد الناصر ، وقال يكفي جمال عبد الناصر أن يدخل الجنة قتله للسيد قطب الشهيد رحمة الله عليه . ومن شيوخ التبليغيين : محمد شفيع الديوبندي الحنفي الجشتي خليفة أشرف على التهانوي . زعم أن رجلا من علماء اليمن كان يأتي بعد الحج كل سنة إلى الحجرة الشريفة وينشد النبي ﷺ قصيدة يمدحه بها فيستمع لها النبي ﷺ فدعاه رجل من الشيعة إلى بيته وقطع لسانه . فأخذ قطعة لسانه وأتى بها حجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، فأراه تلك القطعة ، ثم رجع إلى بيته ، ولما نام أتاه النبي ﷺ في المنام ، وضم بيده تلك البضعة إلى أصل لسانه ، وعندما استيقظ وجد لسانه سليما ، بل صار أفصح مما كان .

قال محمد تقي الدين : يالله للوقاحة كيف يترك النبي ﷺ ابنه الحسين ومعه مائة من أهل بيته يقتلون عطاشا في كربلاء بالعراق ، ويقطع رأس الحسين ، ويؤخذ إلى يزيد بن معاوية ، ولا يعمل شيئا ، ويهتم بشاعر مشرك غالٍ ، فيرد له لسانه ، وإذا لم تستحيي فقل ما شئت .

وبعد ذكره خرافات كثيرة رواها عن شيوخ التبليغ ذكر أن محمد زكريا الكندهلوي ، الذي يسمى محدثا عند الحنفيين الديوبنديين .

والحقيقة أنه مُحْدِثٌ بسكون الحاء وكسر الدال ، إذ كيف تجتمع طرائق التصوف الأربع : الجشتية ، والنقشبندية ، والقادرية ، والسهروردية ، وبدعة التقليد ، وما فيه من الشرك . مع العلم والعمل بحديث النبي ﷺ . يضاف إلى ذلك ما ذكره محمد أسلم أنه كان يكتب التمائم ، وقد قال النبي ﷺ : (التمائم شرك) .

وقد جاءت أحاديث على أن كاتب التمائم ومعلقها مشرك ، ولو كانت من القرآن .

تصرف الشيخ عبد القادر الرأي بوري مرشد أبي الحسن الندوي في الكون بزعمهم (1)

زعم زكريا الكندهلوي أن الشيخ عبد القادر المذكور كان يحب أن يسمع منه القرآن ، فلم يتيسر له ذلك حتى مات . قال زكريا : فذهبت إلى قبره لأقرأه عليه ليسمعه ميتا ، إذ لم يسمعه وهو حي ، وكان جو تلك القرية التي دفن فيها عبد القادر شديدالحر ، لا يطاق حره فصار جو هذا المكان معتدلاً لا برد فيه ولا حر لمدة ثلاثة أيام بتصرف الشيخ عبد القادر ، فلما ختمت القرآن وانصرفت عاد حاراً كما كان .

قال محمد تقي الدين : هذا كلام فيه كفر وضلال ، فأما الضلال : فقراءة القرآن عند القبر. قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى : « وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » من سورة النجم . ومن هذه الآية : استنبط الشافعي رحمه الله ، ومن اتبعه ، أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ، ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ، ولا حثهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ، ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه . وباب القربات يقتصر فيه على النصوص . ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء . فأما الدعاء والصدقة فذانك مجمع على وصولها ومنصوص من الشارع عليهما . وأما الكفر : فزعمه أن عبد القادر تصرف في الجو فجعله باردا لمدة ثلاثة أيام . ومن سخافات زكريا وجهله أنه أوصى رجلا متوجها إلى مدينة الرسول ﷺ فقال له :

(1) حياة محمد يوسف ص 100 .

إذا وصلت إلى النبي ﷺ فقل له : يسلم عليك كلب هندي . والمؤمن لا يسمي نفسه كلبا ، لأن الله ضرب المثل بالكلب والحمار لمن أعطاه الله كتابه فلم يعمل به ، فقال في سورة الأعراف رقم الآية 175 ـ 176 : « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ » وقال تعالى في سورة الجمعة رقم الآية : 5 « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً » . والنبي ﷺ ليس محبوسا في قبره ، لأن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترتع في الجنة حيث شاءت . ولو كان النبي ﷺ محبوسا في قبره حاشاه من ذلك لما سمع كلام الناس من وراء الحجرات ، ولكن هؤلاء القوم ليس لهم دين ، ولا عقل . ثم ذكر محمد أسلم عن أهل التبليغ : أن بعض المتصوفة تذهب إليهم الكعبة لتزورهم . والأحاديث التي نقلها عنهم في زيارة قبر النبي كلها مكذوبة . فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان قبر النبي ﷺ في بيت إبنته عائشة ولم يرو عنه أنه زاره مرة . وعمر بن الخطاب كذلك ، لم يستأذن عائشة في زيارة قبر النبي قط . إلا بعدما طعن وأيقن بالموت فبعث إليها يستأذنها أن يدفن مع صاحبيه . ولا فعل ذلك عثمان ولا علي . وروي عن بعض صغار الصحابة كعبد الله بن عمر أنه كان يريد زيارة قبر أبيه إذا قدم من سفر فيأتي إلى الحجرة النبوية فيقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتي . وعمل الخلفاء الراشدين أفضل من عمله . وأما ما نسبه إلى سعيد بن منصور عن سليمان بن سحيم أنه زار النبي ﷺ في المنام ، فسأله هل تعرف الذين يحضرون في خدمتك ، ويسلمون عليك؟ فقال النبي ﷺ : نعم ، أعلمهم ، وأرد عليهم السلام . فإن الرؤيا في المنام لا تصلح لأخذ

الأحكام منها .

وفي حديث البخاري أن النبي ﷺ قال : (ليرفعن أقوام منكم إلي وأنا على الحوض ، ثم ليختلجن دوني ، فأقول : إلى أين ؟ فيقال : إلى النار ، فأقول : أي ربي ! أصحابي ! أصحابي ! فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم بدلوا وغيروا) ... الحديث . فالنبي ﷺ لا يعلم ما تفعله أمته بعد وفاته ، ولا قبلها ، إلا إذا كان يشاهده . إذ لا يعلم الغيب إلا الله .

قوله : وقد ثبت السفر من الصحابة والتابعين لزيارة قبر النبي ﷺ باطل ، للحديث الصحيح المرفوع . قال رسول الله ﷺ : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .

وفي كتاب التوحيد وشروحه من الأدلة على هذا ما يشفي ويكفي . وأما عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فهو أعقل وأعلم وأتقى لله من أن يبعث السلام إلى قبر النبي ﷺ ، وهذه الخرافة لم تكن في زمانه .

وحكاية الرفاعي وإنشاده البيتين المنسوبين إليه . وذلك قوله :

في حالة البعد ، روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

قالوا : فخرجت اليد الشريفة حتى قبّلها الرفاعي ثم رجعت كذب وبهتان ، فإنه لم يكن أحد يقبل الأرض بين يدي النبي ﷺ ولا يرضى بذلك النبي ﷺ ، وإنما يفعل ذلك بين يدي الجبابرة . ولم يكن النبي

عليه الصلاة والسلام في حياته يمد يده إلى الناس يقبلونها ، فكيف ذلك بعد وفاته ؟ فما أسفه عقول المشركين ! يتمسكون بنسج العنكبوت .

قال محمد تقي الدين : وقد أكثر شيوخ التبليغ كزكريا وغيره من سب أبي الأعلى المودودي ، وجماعته ، وهي الجماعة الإسلامية في الهند وباكستان . وجماعة التبليغ بالنسبة للجماعة الإسلامية كدودة أمام أسد . فالجماعة الإسلامية مجاهدة توالي في الله ، وتعادي في الله . وتدعوا الكفار والمسلمين المنحرفين من أهل الهند إلى توحيد الله ، واتباع الرسول . وجماعة التبليغ توالي الحكومة الهندية الكافرة عدوة الإسلام ، وتتودد لها بأنواع من التودد . وقد حبست حكومة الهند الكافرة المودودي ورجال جماعته ، سنين طويلة ، لأنهم آذوها بجهادهم ، وأما أصحاب التبليغ : فهم عند حكومة الهند أبناؤها المقربون ، وأحباؤها المفضلون ، فشتان بين الجماعة الإسلامية ، وجماعة التبليغ ، فالفرق بين الجماعتين كالفرق بين السماء والأرض . والسّب والشتم شيمة العاجز .

فاليوم قد بِتَّ تهجونا وتشتمنا
فاْذهب فما بك والأيام من عجب

ويحق للجماعة الإسلامية أن تنشد :

الله يعلمني والله يعلمكم والله يجزيكُم عني ويَجزيني .

وعلماء الهند وأشرافها ونبلاؤها ، وعلماء باكستان وأشرافها ونبلاؤها ، يرون الجماعة الإسلامية بالنسبة إلى التبليغيين كنجوم السماء مع الخنافس التي تدب على وجه الأرض . فرجال الجماعة الإسلامية هم نجوم السماء ، وجماعة التبليغ خنافس تدبُّ على وجه الأرض في كل مكان ، لا تنفع صديقا للإسلام ، ولا تضر عدوا له ، بل هي صديقة

لأعداء الإسلام في كل مكان : في الهند ، وأوروبا ، وفلسطين ، والبلاد الشيوعية .

ومن حكاياتهم السَّخيفة : أن الشيخ الملاجامي النحوي الطرقي الهندي أعدَّ قصائد مدح ، يمدح بها النبي ﷺ فعلم بذلك النبي ﷺ فأمر أمير مكة أن يمنع الجامي من التوجه إلى المدينة ، وإنشاد القصائد عند حجرة النبي ﷺ لئلا يضطر النبي ﷺ عند سماع القصائد أن يخرج له يده ليقبلها .

قال محمد تقي الدين : وكفاهم خزيا وعارا أن يذكروا هذه الخرافات على أنها كرامات ، وفي كتبهم السخيفة : أن النبي ﷺ يخرج من قبره ، ويمر يديه على وجه حاج يأكل الربا فينقلب سواد وجهه نورا .

جماعة الخرافات

يقول الشيخ سردار محمد الباكستاني الساكن بباب المجيدي من المدينة النبوية : « وهذه تجربتي مع جماعة التبليغ في مدة عشر سنين ، ومشايخها وعلماؤها يقلدون أبا حنيفة تقليدا أعمى ، ويَغلون معهم في الصلحاء الآخرين . إن كل ما صدر من أفواه المشايخ والعلماء يحمل على الخير ويؤول ، ولو كان ضد الكتاب والسنة صريحا ، وكل ما صدر من الذين لا يتعلقون بجماعتهم فيدسون في أقوالهم ويدخلون من أكاذيب الأقوال وإفتراءاتها ، ولا يجدون في أنفسهم أن يعطوا هذا المخالف المقام اللائق ، ويحملوا قوله على النية الصادقة . فإنا لله وإنا إليه راجعون . على هذه الفكرة الخاطئة ، وعلى هذا الفهم الضيق للإسلام ، وعلى هذا التعصب المذهبي البغيض... ثم إنا لله وإنا إليه راجعون » وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

أصحاب جماعة التبليغ لا يفرقون بين الدين والدنيا، والسياسة، عندهم شجرة ممنوعة (ومع هذا قاموا مع ذو الفقار علي بوهتو في الانتخابات الماضية في باكستان، وتزعم جماعة التبليغ أن من مات ولم يبايع شيخ الطريقة مات ميتة جاهلية. وهذا ورد عن النبي ﷺ في خليفة المسلمين الذي يجمع كلمتهم ويجاهد بهم في سبيل الله. ويحكم بشرع الله، ويأمر بالمعروف ويغير كل منكر. بيده. وبأيدي أتباعه. وعماله. أما مبايعة دجاجلة التصوف فهي كمبايعة إبليس).

قال محمد أسلم: ومن طريقتهم أنهم يذكرون ذكراً جهريا يخالف السنة حسبما أرشدهم الشيخ. ويرتكبون معصية الله أحيانا في طاعة الشيخ والعياذ بالله، وقد تفوق محبة الشيخ على محبة الله، ومحبة الرسول ﷺ. والعياذ بالله ويخافون من سخط الشيخ وغضبه. كما يخاف من سخط الله. وسخط رسوله.

قال محمد أسلم: فهذه جماعة تبليغية حنفية أشعرية ماتوريدية. ديوبندية جشتية نقشبندية. سهروردية. قادرية.

قال محمد أسلم: قال الشيخ عبد الرحيم شاه الذي كان من أقطاب جماعة التبليغ مدة من الزمان. ثم تاب إلى الله من طريقتهم. وأخذ يوجه الانتقاد لهم. فمن جملة ما قاله فيهم: إن هذه الجماعة يتصدى أفرادها للدعوة والتبليغ. وهم جهال بالعقائد. والأصول. والفروع. ومن خرج منهم للسياحة مرة أو مرتين. نفخ الشيطان في أنفه. فيظن أنه بلغ أعلى الدرجات. ويحتقر العلماء. ويفتي بالجهل. ويصدر الأحكام جُزافاً. بلا دليل. ولا برهان. فكلما ازداد الإنسان تعمقا في جماعة التبليغ، إزداد بعداً من علماء الكتاب والسنّة. قال: فنقول لهم: هل هذه السنّة التي تزعمون أنكم عليها كانت متروكة عند

الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولم يطلع عليها أحد غيركم؟ فأهل هذه الجماعة يحصرون الدين. والعلم. والإيمان. في أنفسهم والهدى والصلاح يرونهما وقفاً عليهم(1)

إعتراف أحد أقطاب جماعة التبليغ بأخطاء جماعته.

هذا الرجل هو إحتشام الحسن زوج أخت محمد إلياس وخليفته الأول، ومعتمده الخاص، وقد قضى مدة طويلة من حياته في قيادة جماعة التبليغ، ورفقه محمد إلياس الدهلوي. إسمعوا ما قال:

قال: إن الدعوة المنبثقة من مركز نظام الدين في دهلي. حسب علمي وفهمي ليست موافقة للكتاب والسنة، ولا لمنهج مجدد الألف الثاني، ولا الشاه ولي الله الدهلوي. والعلماء المحققين.

من أين أخذ محمد إلياس فكرة تأسيس جماعة التبليغ؟

قال محمد أسلم: نسبة هذه الجماعة مصدرها الشيخ الكبير محمد سعيد النورسي الكردي ولد سنة 1293هـ وتوفي سنة 1379هـ وهو واضع هذه الأصول الستة التي اختارتها... جماعة التبليغ، لا كما يزعمه التبليغيون: أن صاحب الفكرة هو الشيخ محمد إلياس، وتسمية جماعة التبليغ مساجد باسم النور مأخوذ من إسم هذا الشيخ النورسي الكردي. ولما أخذ محمد إلياس هذه الفكرة في المدينة النبوية ذهب بها إلى الهند ونشرها.

وقال الشيخ عامر عثماني رئيس تحرير مجلة التجلي الأردية أحد كبار علماء ديوبند ينتقد طرائق المتصوفة: والتصوف وإن أخذ بالإحتياط والإعتدال لا بد أن يأتي معه سحر المكاشفات وخوارق العادة،

(1) أصول دعوة وتبليغ ص 46.

والأمور الغيبية . والتصرفات ، ثم إذا اختلط بهذه الأمور إعتقاد المريدين في المشايخ تراكمت الظلمات بعضها فوق بعض حتى تكون هذه الأمور تحديا لأصول الشريعة . ومن هنا يضطر النقاد الذين عيارهم الكتاب والسنة إلى القول بأن التصوف سكرٌ ، ومغنطة ، وعدو للشريعة ، وفي الفكر الديوبندي كثير من التقليد الأعمى ، والتعصب المذهبي ، وهذا مرٌّ لكنه حق وصواب ، مائة في المائة . وقد إحتالوا على العوام بزعمهم أن شيوخهم محفوظون من الخطإ ، يريدون بذلك أنهم معصومون ، وقد تجنبوا لفظ العصمة لا معناها . قال ولا يريد مشايخنا الديوبنديون أن يعترفوا بأخطائهم ، ولا يريد أحد منهم أن يتبرأ من هذه الخرافات التي في كتب مشايخهم . فأكابرنا يتيقنون إن الكمالات المنسوبة إلى مشايخهم من علم الغيب . وإستجابة الدعاء . والتصرف في الكون ، والروحانيات ، والمكاشفات ، والإلهام . عندهم حق وصدق قطعا .

خاتمة لمؤلف هذا الكتاب

ختم القائد محمد أسلم جزاه الله عن الأمة الإسلامية خيراً بما كشف من مخبآت طائفة التبليغ ليحاسب نفسه من أراد الله به خيراً منهم . وأكثرهم لا يريدون إلا الخير ، ولكنهم لم يجدوا من ينبههم عليه ، وأما رؤساؤهم في الهند فعندهم موانع قوية من قبول النصيحة ، وجمود ، وتقليد شديد ، وعصبية ، لا يكاد يخرق سورها منهم إلا من سبقت له الحسنى ، والواجب على كل مسلم أن يتعلم توحيد الله بأنواعه الأربعة : توحيد الربوبية ، وتوحيد العبادة ، وهما متلازمان لا يقبل أحدهما بدون الآخر .

فتوحيد الربوبية أن تعلم وتعتقد بأن الذي أوجدك من العدم .

وأفاض عليك النعم ، وحفظ عليك وجودك ، وأمدك بكل ما تحتاج إليه ، وبيده حياتك ، وموتك ، وضرك ، ونفعك ، وفلاحك ، وإخفاقك . هو الله رب العالمين لا شريك له لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الصالحين .

وتوحيد الألوهية ، ويسمى أيضا توحيد العبادة ، وهو القسم الثاني : ألاَّ تدعو لجلب خير ، أو دفع شر ، إلا الله ، ولا تستغيث في الشدائد إلا بالله ، ولا تذبح بقصد التعظيم إلا لله . ولا تنذر نذرا إلا لله ، ولا تحلف إلا بالله ، ولا تتَّبعْ في الدين إلا ما أنزل الله في الكتاب والسنة ، ولا تحكم أو تُحاكم إلا إلى شرع الله ، ولا تطلب الهداية إلا من الله ، ولا تعمل عملا تريد به ثواب الله إلا لله . ولا تتوكل في جميع أمورك إلا على الله . ولا توالِ أو تعاد إلا في الله ، ولا تحب أو تبغض إلا في الله . إلى غير ذلك من أنواع العبادة . وأدلة توحيد الربوبية كثيرة . منها : قوله تعالى في سورة الأعراف رقم الآية 54 : « إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » .

وأدلة توحيد العبادة كثيرة ، منها قوله تعالى : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ » . فسماهم الله تعالى كاذبين وكفارين أي شديدي الكفر .

النوع الثالث : من أنواع التوحيد توحيدُ الأسماء والصفات ، وهو أن نصف الله بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، وعلامة ذلك أننا نقول لأبنائنا وتلاميذنا كما قال النبي ﷺ للجارية : أين الله ؟ ونأمرهم أن يجيبوا بما أجابت به الجارية فيرفعوا أصابعهم إلى السماء فيقولون : هو في السماء ، فوق عرشه المجيد ، بذاته ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، يتكلم إذا شاء ، ومن كلامه : القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وما أنزل الله على كل نبي ورسول ، بحرف وصوت . وينزل إلى سماء الدنيا ، ولا نقول كيف ينزل ؟ ولا كيف استوى ؟ ويحب التوابين ، ويبغض الكافرين ، ويجيء يوم القيامة لفصل القضاء ، ويضحك كما يليق بجلاله ، وكماله ، ولا ننتسب إلى أي فرقة من فرق المتكلمين ، ولا إلى أي مذهب من مذاهب المتفرقين ، ونتبع في العقائد أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ، والأئمة المجتهدين . ومنهم إمام أهل السنة في زمانه الذي ابْتُلِيَ فصبر ، أحمد بن حنبل رحمه الله . أما في الفروع فنتبع ما جاء عن الله ورسوله بدون تقيد بمذهب ولا فرقة .

النوع الرابع : توحيد الاتباع ، ودليله : « اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ » في أول سورة الأعراف. فهذه الأنواع الأربعة تدل عليها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . مضى عليها السلف الصالح ، وأخبرنا الصادق المصدوق ، أن طائفة من أمة الاستجابة ، لا تزال ثابتة على هذه الأصول ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله ، أي حتى يبعث الله تعالى ريحا تقبض روح كل مؤمن ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق . فمن طلب هذه الطائفة بجدٍّ وإخلاص ، وجدها في أنحاء الأرض ، لا تختص ببلد دون بلد . « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ».

واحفظنا من مكر الماكرين ، واهدنا صراطك المستقيم ، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، واختم لنا بالحسنى ، يا أرحم الراحمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ منه صباح يوم الثلاثاء الثالث شوال سنة 1398هـ بمدينة مكناس وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

*